عُلوم النشامى



تأليف

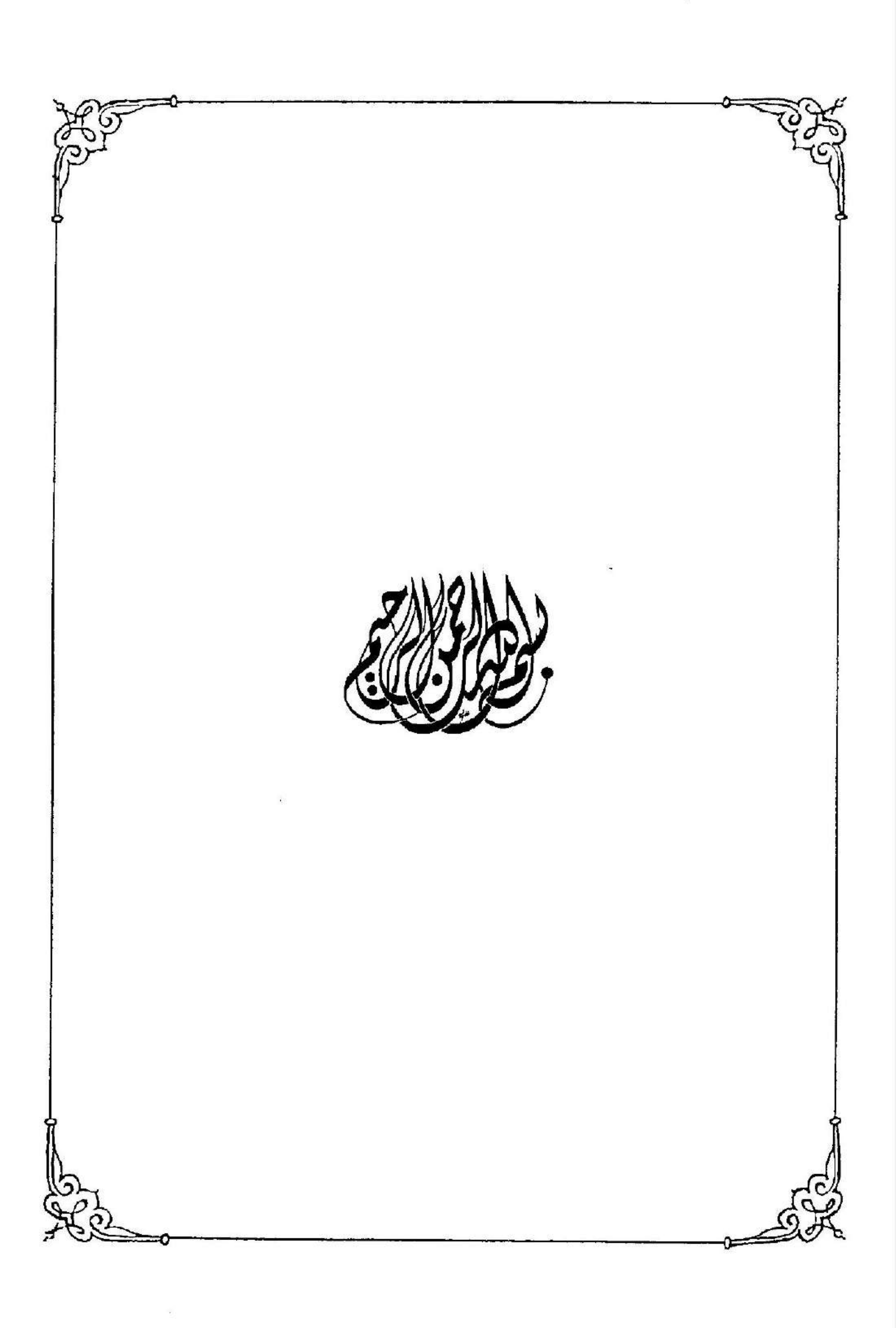
مهدي بن عبار العنزي

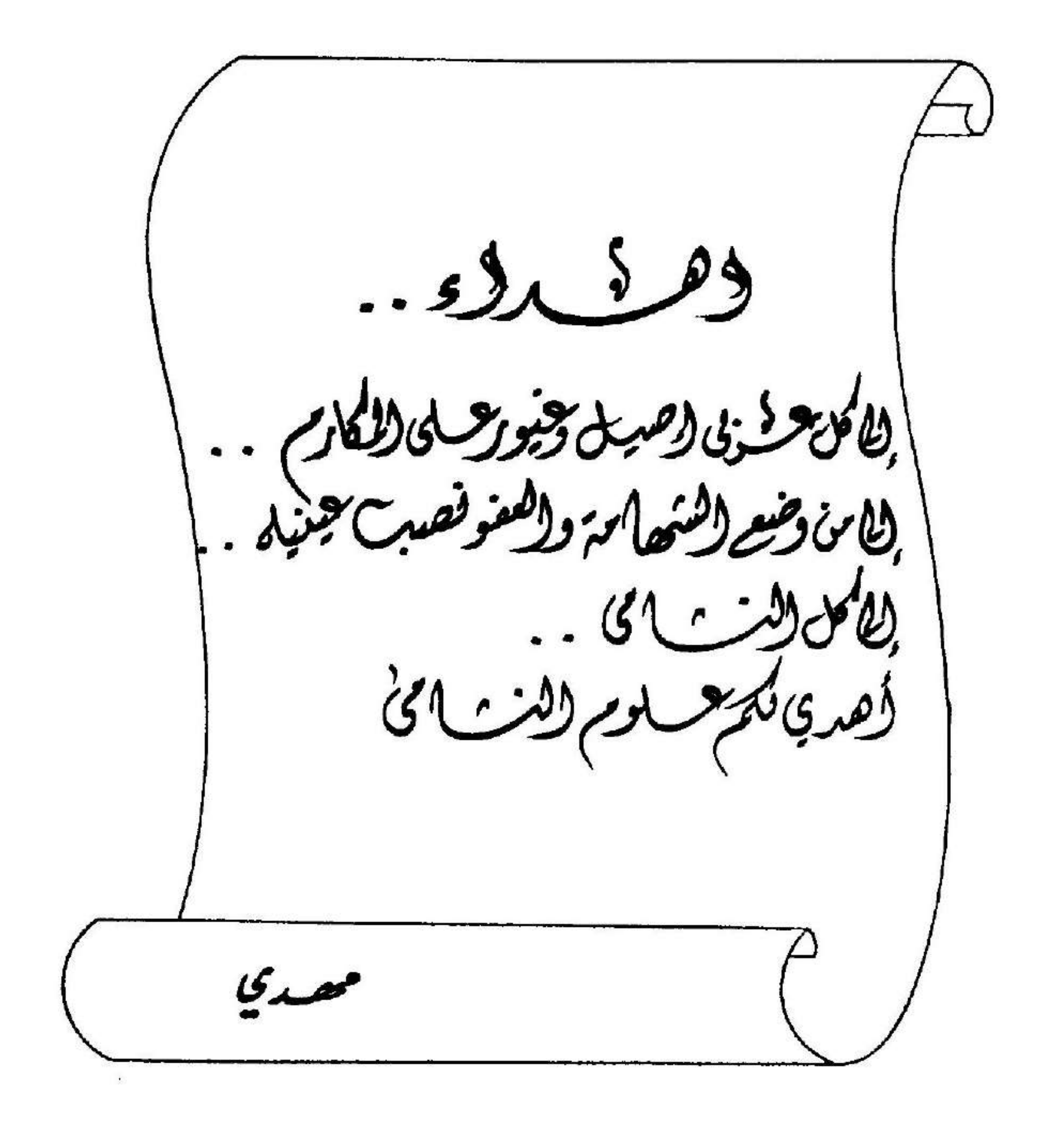
عُلومُ النّشامى

قصص وقصائد مستوحاة
من الجزيرة العربيّة

تأليف
مهدي بن عبار العنزي

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ-١٩٨٨م


بسم الله الرحمن الرحيم


إهداء ..
إلى كل عزيز أصيل وغيور على المكارم ..
إلى من وضع الشهامة والعفو نصب عينيه ..
إلى كل النشامى ..
أهدي لكم علوم النشامى
مجدي

مقدمة..

عزيزي القارئ:

اشتهرت الجزيرة العربية منذ القدم بأمجادها وبمكارم أخلاق أهلها وما يمتازون به من شمم ومروءة وشجاعة مثلهم في ذلك كل عربي يعيش في الوطن العربي الكبير، وأصبحت الصفات النبيلة والأخلاق الفاضلة مرجعاً لكل عربي مسلم غيور، ولما كنا نود أن نبرز بعض الصفات التي يتحلا بها ابن هذه الجزيرة. كان لابد لنا من متابعة السنن التي درج عليها الآباء والأجداد الذين تركوا لنا تراث زاخر نفاخر به كل الأمم، وكان لزاماً علينا أن نبرز هذه الصفحات الناصعة من تاريخ أمتنا العريق لنحقق التواصل المطلوب بين الماضي والحاضر.

وهذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القاريء يحاول إبراز بعض الجوانب المشرقة ومسيرة الأجداد وقد أردت بذلك أن يطلع النشيء والشباب على ما كان عليه أسلافهم الأماجد من قيم ومثل نحن بأمس الحاجة إليها ولعلي بذلك أكون قد حققت بعض الفائدة المرجوة.

وبالله التوفيق

مهدي بن عبار العنزي

مدخل

عزيزي القارئ:

القصة جنس من أجناس الأدب (والشعر ديوان العرب) كما قال العرب سابقاً.

علوم النشامى هي سرد قصصي في قوالب شعرية مختلفة تدرجتُ فيه بين أحضان البوادي ومسارح القرى الواسعة وأفياء الحدائق المتنوعة.

جزيرتنا العربية إلى جانب رحابة مساحتها وتعدد مواردها، لهي غنية بأبنائها وأدبائها وشعرائها. وهكذا هي الصحراء التي تحولت إلى واحة خضراء فيها معارف جمة وحوادث كم هي بحاجة إلى تدوين وأردت من خلال هذا السفر أن أحقق جزءاً من طموح يختلج في داخلي.

أنتم الفضاء الواسع والكلمات شمعة ضياء تنير لكم طريقكم أهلاً لكم.

مهدي بن عبار العنزي

العفو عند المقدرة من شيم العرب

وان كان ما طاوعت عندي وصية
أوصيك باللي ما وراها رجاجيل

شاب يعفو عن قاتل أبيه :

العرب أهل الشيم وهم أصحاب النخوة والعفو عند المقدرة. كانت هذه ولازالت ميزات يمتاز بها العربي وعلى هذه الوديان نشأت المودة. ونشأ التعاضد والتآخي.. في هذه الأرض الطاهرة وبدت بطولات تحدث عنها التاريخ فقد كان لهم في الرسول الأعظم ﷺ قدوة حسنة، فنهجوا نهج الإسلام الحنيف قولاً وعملاً وفي ظل الإسلام عرف الإنسان العفو.. وعرف المظلوم طريقه إلى حقه ورفع الظلم عنه ولم يكن العرب في جاهليتهم يستغربون من الملتجيء إلى غيره وإن كان لا يعرفه حمايته حتى ولو ارتكب جرماً ضد من التجأ إليه ولعل هذه الحكاية القديمة التالية تعبر عن نموذج من نماذج هذه الشيم الأصيلة.

● كان أحد أبناء البادية مع إبله يرافقه راع يتجول بهذه الإبل بين الخمائل والوديان لترعى في الأرض الخصبة كان هدفه الأول والأخير حماية إبله من (الغزو) والذين لا ينقطعون عن الإغارة لسلب الإبل من القبائل المعادية لهم في ذلك العصر.

وفي يوم من الأيام شاهد هذا الرجل الخيول تهجم عليه من كل جانب فدافع عن إبله وقتل أحد الفرسان الذين هجموا على الإبل: وخلصها منهم بعد معركة استمرت من الظهر حتى غربت الشمس.

واتجه بإبله إلى بر الأمان. وكان الخيالة يعرفونه تمام المعرفة حيث أن الرجل الشجاع يعرف حتى من قبل أعدائه وبقى هذا الرجل يفكر في الموت لأنه قتل أحد الفرسان من القبيلة المعادية في ذلك الوقت.

وبعد مضي عشر سنوات أطمأن قلبه وتوقع أن هذا الرجل أي القتيل ليس له من يأخذ بثأره ولم يكن يعلم أن لهذا الرجل ولداً يفوقه في الشجاعة والأقدام.

كان الولد وقته ابن عشر سنوات وكبر وبلغ العشرين من العمر عندها صمم على الذهاب إلى جهة القبيلة التي قتل أحد أفرادها والده.

ركب الشاب ذلوله ومعه سلاحه وكان يحلم بأخذ ثأر والده منذ طفولته. وعندما اقترب من منازل القوم: سأل وبسرية عن اسم الرجل الذي قتل والده وادعى إنه مدان له بمبلغ من المال وادعى أيضاً أنه تاجر إبل فدلوه عليه فشاهده عن قرب وكان القاتل لا يعرف هذا ولم يره إطلاقاً فذهب كعادته مع إبله. فاقتفى الشاب أثره وفي الفلاة تقدم إليه الشاب وقال هل أنت فلان: قال نعم: قال أنت قتلت والدي وسأقتلك الآن أقول لك ذلك حتى لا تقول أنني غدرت بك كل ما أريده منك أن تدافع عن نفسك.

قال القاتل أنا لم أقتل والدك معتدياً بل قتلته مدافعاً عن إبلي وكرامتي.
صوب الشاب بندقيته إلى صدر الرجل فرفع القاتل يديه. وقال مهلاً أيها الفارس.

أريد منك أن تسمح لي بأداء الصلاة ركعتين لوجه الله فإذا أنهيت صلاتي. اقتلني.. وافق الشاب وسمح له بأداء الصلاة ونهض بعدها وقال مهلاً أيها الفارس أريد أن أقول كلمة واحدة فقال الشاب لك ما طلبت.

قال والله أنا رجل مقطوع ليس لي من الذرية إلا بنت فهل تعطف على هذه المخلوقة وتعتقني لوجه الله وخذ كل ما تريد.. خذ الإبل وكل ما أملك من أموال قال الشاب: الأموال لا تعوض حياة والدي الذي قتلته.

قال القاتل مهلاً أيها الفارس.
هل تسمح لي بأن أرتجل بعض الأبيات التي خطرت لي الآن قال الشاب :

تفضل قلها :

قال القاتل :

يا فارس الهيجا طلبتك عطية
قل تم ياذخر الرجال المشاكيل
اعطف بحال البنت واعطف عليه
مالي سواها لا وخلاق جبريل
كانك عفيت العفو منكم هدية
هدية تنعد جيل بعد جيل
جايهك في خلاف كل البرية
أرحم ذليل حصل الذل والويل
وإن كان ما طاوعت عندي وصية
أوصيك باللي ما وراها رجاجيل

وما أن أنهى أبياته حتى انهمرت الدموع، من عيون الشاب ولد القتيل فرمى بندقيته وقال أبشر بالذي طلبت: لقد أعتقتك لوجه الله إكراماً لابنتك الوحيدة والله ما رضيت بأن تصبح يتيمة.



شيمة قروي

البدو واللي يسكنون القرايا
الأصل واحد، والروابط قوية

القرى التي تتناثر وسط الصحراء تنعم بكثير من الاستقرار قياساً بمناطق البادية الأخرى التي تشهد إقبالاً على قدر ما فيها من كلأ وماء.. وهذه القرى أيضاً تعتبر بمثابة محطات للبدو الرحل يلجأون إليها لنيل قسط من الراحة والتزود بالمتاع والماء تأهباً لمواصلة الترحال.. وفي حالة انعدام المرعى ينصب البدو خيامهم بالقرب من هذه القرى وينزلون جيراناً على سكانها لفترة من الزمن قد تطول أو تقصر ثم يرحلون مرة أخرى. وفي «الحضير» كما يحلو للبدو أن يسموا تلك القرى تنشأ نوعاً من العلاقات بين السكان والبدو تستمر طوال فترة الإقامة المؤقتة هذه.

حادث قتل

وفي إحدى القرى التي من هذا النوع كان يعيش أحد الوجهاء ربى أبناءه تربية طيبة وعودهم على الأدب والأخلاق الفاضلة.. وذات يوم نزل بجوار هذه القرية مجموعة من البدو نصبوا خيامهم واستقر بهم المقام هناك.. وحدث نوع من التعارف والاختلاط بين البدو أهل القرية مما جعل الابناء من كلا الطرفين كثيرون اللعب مع بعضهم.

وفي أحد الأيام جاءت مجموعة من أطفال البدو وطلبوا من أبناء الوجيه أن يخرجوا معهم للعب.. وبعد فترة قضوها في اللهو والجري تشاجر أبناء الوجيه مع أبناء البدو فما كان من أحد الأطفال إلا أن أخرج سيفاً صغيراً من نوع «العرينيات» وضرب به ابن الوجيه فأرداه قتيلاً وفر الأطفال كل إلى منزل أهله أما

أخوة المقتول فقد حملوه إلى بيتهم وأخبروا والدهم بما حدث عندما نهض الرجل متأثراً وغاضباً وأقسم على الأخذ بالثأر وقتل كبير البدو قبل صغيرهم.

العفو بدلاً من الثأر

وأثناء استعداد الوجيه للخروج للأخذ بالثأر إذا بباب بيته يطرق ولما فتح الباب وجد في مواجهته رجلاً طاعناً في السن ومعه الابن القاتل وعندما رأوهم أخوة المقتول هاجوا وأشاروا على الولد قائلين: يا أبانا هذا هو القاتل.

فقال الرجل البدوي: نعم أيها الوجيه هذا هو قاتل أبنك وقد جئت به لتأخذ منه بثأرك.. فنظر إليه الوجيه ثم انتقل بنظره إلى القاتل فوجده طفلاً لا يتعدى الثالثة عشرة من العمر فهاج وسأل البدوي من والده؟ فأجاب الرجل إنه أنا يا طويل العمر.. فسأله القروي والشرر يتطاير من عينيه: وهل له إخوة.. فرد عليه البدوي.. لا ولكن هل تسمح لي بأن أروي لك قصة هذا الطفل.. إنه ابني الوحيد فقد تزوجت متأخراً ورزقني الله به وماتت أمه بعد فترة وجيزة فبقيت أنا وهو وحيدين نعيش في بيت أحد الأقارب لا مال لنا ولا حلال وأنني أفضل أن تقتله وتقتلني لارتاح منه ومن الدنيا بعد أن كثرت مشاكله ورفض جماعتنا بقاءنا وسطهم.

وسكت والد المقتول برهة مفكراً ثم تنهد وقال: لا عليك ياعم.. إن الله أمرني أن أعفو عنك وعن أبنك.. عد من حيث أتيت ولا تخرج ولدك فيقتلوه أولادي أو أبناء عمومتي.. وعندما نجتمع سوف أعلن للجميع أنني عفوت عنكم.

مجلس الشهامة

وبعد مرورو ثلاثة أيام اجتمع أهل القرية عند كبيرهم الذي أرسل مستدعياً جماعة البدو ليخبر الجميع بقراره بالعفو عن القاتل.. وعندما أكتمل الجمع

نهض قائماً وقال :

يا جماعة الخير.. اشهدوا أنني عفوت عن هذا الرجل وأبنه لوجه الله.. ولا أريد منهما ثمناً ولا دية وإنما أرجو من الله أن يعوضني خيراً.

● فقام أحد أبناء البادية وقال :

جزاك الله خيراً ومنحك الرزق وألهمك الصبر.. إن هذا الطفل وحيد والده ويتيم الأم.. لقد فعلت خيراً وسيسجل لك التاريخ هذاالعفو لأنه من شيم الكرام.

● وأعقبه أحد أبناء القرية قائلاً لقد نزل هؤلاء البدو بيننا فأكرمنا جيرتهم أما وقد فعل ابنهم فعلته فيرحلوا عنا لأنا قد لا نصفح مرة أخرى.

● ولم يدعه والد المقتول يكمل حديثه وقاطعه قائلاً :

لا وألف لا.. لن يجبر البدو على الرحيل ما دمت حياً وليظلوا بجوارنا إلى أن يقرروا بأنفسهم ماذا يريدون ومتى يرحلون.

● وما أن أوشك المجلس على أن ينفض حتى توجه القروي إلى أحد رجال البدو الذي ظل صامتاً طوال الوقت وقال له :

يبدو أنك أكبر القوم سناً والقضية الآن قد حسمت لكن ما بدالك التزمت الصمت طوال الوقت.. لقد اعتبرت أن ما حدث قضاء وقدراً فلا تتأثرون وهونوا على أنفسكم فنحن جيران وقد نسيت ما كان.

فخرج البدوي عن صمته وقال: نعم إنه قضاء وقدر.. ونحن لن ننسى لك عفوك وما يريحنا الآن هو أن تقبل الدية وتسمح لنا بالرحيل.

● وعلا صوت والد القتيل حيث قال :

الدية ليست أفضل من ولدي.. وليست أفضل من عفوي.. وليست أفضل من قسمة الله لي أما رحيلكم مجبرين فهو مرفوض.

● فتأثر البدوي كثيراً بما سمع ثم قال :

يا طويل العمر.. هل تسمح لي بأن أقول قصيدة في هذه المناسبة وسكت الجميع وأنشد البدوي مرتجلاً هذه الأبيات :

عفوك صدر

يا شيخ تسلم يا كبير العطايا
مثلك قليل اللي تجيب قرويه
متوفرة بك طيبات المزايا
فيك الشرف والطيب والغايريه
ما هي غريبة يا زبون الونايا
تعفو ومنك العفو جانا هدية
عفوك صدر حيثك سليم النوايا
من طيب فعلك ما تبعت الخطية
والله لو تطلب تجيك الرعايا
لا شك منك العفو جانا عطية
حتى رحيلي فوق عوص المطايا
ما تقبله يحفظك رب البريه
مشكور فعلك يا كثير السجايا
مرفوع رأسك عند كل السمية
والطيب يعرف عند صعب القضايا
وبالضيق يعرف كاسبين الحمية
البدو واللى يسكنون القرايا
الأصل واحد والروابط قوية

وهكذا تسطر لنا هذه القصة صفحة من المجد.. أبطالها أجدادنا.. الذين أشاعوا العفو والصفح بينهم. والعفو من شيم الكرام وإلى اللقاء مع علوم أخرى من علوم النشامى.

العرب لا تقتل الأسير !!
العفو عند أهل المكارم طبيعة

العفو خصلة حميدة يتحلى بها العربي: والعفو عند المقدرة عادة تعوّد عليها أبناء الصحراء النشامى..

وما أكثر قصص العفو القديمة في باديتنا العزيزة.. كخلق أصيل من أخلاقنا العربية.

يجتمع البدو في الصيف على الآبار ويسمى ذلك «بالقطين» وبعد أن يرحل فصل الصيف فإن البدو يتفرقون فتجد كل بيت أو بيتين في مكان واحد وهدفهم من ذلك البحث عن المرعى الخصب وقد يذهب أحدهم مع إبله إلى جهة بعيدة عن عشيرته وهذا هو أحد أبناء البادية قرر أن يرحل بعيداً عن قومه يجوب البراري بحثاً عن المراعي الخصبة لإبله.

وفي ذات يوم. وإذا بأرض بها مرعى وليس بها سكان قال لراعي الإبل. علينا أن نقيم في هذه الأرض ولكن عليك الانتباه ولا نبعد بالإبل خوفاً من الغزاة كما كان يحدث في تلك الأيام ـــ وقال له إذا لاحظت أي شيء غير عادي فأخبرني لكي أكون على مقربة منك لتخليص الإبل في حالة تعرضها لأي اعتداء.

وكان صاحب الإبل رجلاً شجاعاً ولديه فرس أصيل ومعه سلاح يثق به وبعد يومين من إقامته غارت عليه خيول وأخذ المعتدون الإبل فهب لنجدتها ودارت معركة بينه وبينهم وتمكن فيها أخيراً من استعادة إبله وطرد الغزاة ولكنه لم يقتل منهم أحدا وفي المساء عاد لداره متعباً من ما حدث مع الغزاة بعد أن أيقن أنه

لن يتعرض لهم مرة أخرى فخلد إلى النوم. أما الغزاة فعندما ابتعدوا قليلاً عن صاحب الإبل فكروا في خطة جديدة يهجمونا بها على الرجل في الليل بحيث يمسك به مجموعة ومجموعة أخرى تأخذ الإبل: إذا أنهم عرفوا أنه لا يوجد معه أحد غير الراعي وفعلاً تسلل مجموعة منهم ودخلوا إلى بيت الشعر. ووجدوا الرجل نائماً وهجموا عليه وامسكوا به واقتادوه إلى جماعتهم الآخرين. فأمرهم كبيرهم. أن يكتفوه وأن يأخذوا فرسه وسلاحه. فتم ذلك.

وأمر مجموعة أخرى أن تسوق الإبل وقامت المجموعة بأخذ الإبل أما الفارس صاحب الإبل فقد أمر كبير الغزاة أن يتولى أمره ثلاثة من الفرسان يقتادونه ويحرسونه فساقوه وأبله ولم يستطع أن يحرك ساكناً لأنه كان في حالة يرثى لها كان مجرداً من السلاح ويداه مكتوفتان وإبله تساق إلى جهة لا يعرفها ولا يعلم ماذا سيحدث له.

لقد ترك بيته وزوجته وطفله الذي لا يتجاوز العاشرة من العمر وراءه ليس معهما أحد سوى الراعى وفي الصباح قرر كبير القوم أن يرتاح وجماعته قليلاً فأمر بعض رجاله ليتولوا حراسة الإبل وبعضاً منهم ليتولى حراسة صاحب الإبل.

وقبل الظهر بقليل طلب كبير الغزاة صاحب الإبل لكي يسأله من يكون ولكي يتأكد هو من الفرسان المعروفين لأنه الأمس خلص إبله منهم بالقوة وهو بمفرده. فجاءوا به إلى كبيرهم فسأله من أنت أيها الرجل قال أنا فلان الفلاني!!

قال كبير القوم بالله عليك هل أنت فلان. قال نعم.

قال إن لنا على والدك ثار إذ قتل أحد جماعتنا وإنه الحظ الذي جعلنا نعثر عليك لقد حان وقت هلاكك ثم سأله هل لك من أولاد. قال لا خوفاً من أن يقتل والطفل لأنه عرف أن لهؤلاء القوم ثأراً فأنهم ولو عرفوا أن ابنه طفلاً سيقتلونه وطفله لأنهم يخافون فيما بعد من الطفل عندما يكبر فإنه حتماً سيسأل عن قتلة والده.. قال كبير القوم. من في داخل البيت قال زوجتي فقط وليس لي أبناء.

قال كبير القوم. اذهب يا فلان ويافلان إلى بيت الرجل وبأسرع وقت واحضر لي الراعي وإذا وجدت أطفالاً احضرهم معك فانطلق الرجلان وعندما جاءا إلى البيت وجدا المرأة والراعي يبكيان ووجدا طفلاً أمام البيت: قالا للطفل من أبوك قال أبوي فلان ويسألهما عن والده الاسير ببراءة قالا نعم إن والدك يريد حضورك قالت المرأة وبصوت عال ويحكما ماذا تريدان من هذا الطفل الصغير.

لقد أخذتم إبل والده ولا نعلم عن مصيره هل هو أخذ مع الإبل. أم قتل. الله أعلم: قالا لها إن زوجك مع إبله وهو بخير لا تحزني. قالت أين هو. قالا إنه قريب لقد طلب منا احضار ولده. قالت المرأة وأنا.. قال لها أنت هنا في بيتك فأخذا الطفل فتعلقت بهما المرأة وهي تصرخ وتركاها وأخذا طفلها وعادا به إلى كبيرهم وما أن شاهد الطفل والده حتى صرخ أبي لماذا أنت مكتف إنني أشاهدك أول مرة في هذه الحال قال والده لا تحزن يا ولدي إن الله سيعيننا على هذه المحنة أين امك.. قال في البيت.

قال كبير القوم لفرسانه من منكم يقتل هذا الرجل ومن منكم يقتل ولده. فسكت الجميع وكررها عليهم ثلاثاً مرات فلم يجاوبه أحد.

فنهض أحد الغزاة قال. أنا سأقتل الرجل الكبير أما الطفل فلا استطيع قتله. قال كبير القوم لا.. بل يجب أن نقتل الطفل قبل والده لأنه لو ترك سيكبر وسيقتل منكم الكثير ثأراً لوالده المقتول. وكان الطفل يقبل والده بكل براءة وكان والده يقبله أيضاً ويتضرع إلى ربه أن يخلصه من هذه المصيبة التي حلت به قال كبير القوم بل أنا سأقتل الطفل ووالده ولكن بشرط قالوا ما هو.. قال أخذ الإبل كلها لي قالوا لا نوافق على هذا الشرط فكل واحد منا له سهمه من هذه الإبل. قال إذا من يقتل الطفل ووالده فإنه هو صاحب السهم الأكبر من الإبل..

قال صاحب الإبل لكبير القوم: اطلقوا سراحى وخذوا الإبل بأكملها والله أننى لن أطالبكم بها.. واعتبروا هذه الإبل دية للرجل الذي تدعوا أن والدي قتله

واتركوني وطفلي نعود إلى بيتنا.

قال كبير القوم. أنت وإبلك وابنك تحت تصرفنا فلم ولن نتخلى عن الإبل وسوف نقتلك ونقتل ابنك.

وكان من بين القوم شاب لم يتكلم أبداً بقى ساكتاً طوال الوقت قالوا له رد يا فلان لماذا أنت ساكت وقد اعترف هذا الرجل أنه ابن لفلان.. الذي قتل والدك. لماذا لا تتقدم وتضرب عنقه بالسيف وتشفى غليلك من ابن قاتل أبيك فقال. لهم الشاب هذا الرجل وطفله ليس لهما أي ذنب. قال كبير القوم. للشاب إنك جبان أنها فرصتك الوحيدة تقدم بسرعة واقتل هذا الرجل وابنه ولك نصف الإبل التي غنمناها.

قال الشاب ابن المقتول.. لقد قلت لكم أن هذا الرجل ليس قاتل أبي وامره متروك لكم فدعوني وشأني فقام كبير القوم وضربه على وجهه وقال له هل نسيت ثأر والدك. ولكن اسمع أيها الجبان أن هذه الإبل سأقوم بتوزيعها على الحضور وأنت سيكون نصيبك منها هذا المفرود. وإن العار سيكون حليفك.

قال: صاحب الإبل لكن القوم: يا طويل العمر. طالما إن هذا الشاب هو ولد المقتول.. فدعوه يأخذ الإبل واطلقوا سراحي. فرفض كبير القوم طلبه.. قال الشاب لكبير القوم إذا أردتني أخذ ثأر والدي فعليك أن تطلق سراح هذا الرجل لأنني لو قتلته وهو في هذه الحال «أسيراً» لاصبح ذلك على عاراً كبيراً. وليس من عادة العرب قتل الأسرى. فغضب كبير الغزاة وضرب الشاب مرة ثانية قال الشاب لكبير القوم إنني لن اسمح لك مرة أخرى أن تتعدى على بالضرب إلا تعلم أنني «ابن فلان» قال كبير القوم إذا كنت ابن ذلك الرجل فأقتل هذا الرجل وولده وخذ بثأرك فضربه مرة ثالثة عندها قام الشاب واستل سيفه وضرب كبير القوم وقطعه إلى نصفين.. جزاء عمله وردعاً له لأنه اعتدى عليه ثلاث مرات.

وعلى الفور اتجه إلى الرجل صاحب الإبل. فدب الرعب في قلبه لأنه أيقن أنه سيقتله كما قتل كبير قومه فقال الرجل الأسير صاحب الإبل. مهلاً أيها الشاب قال الشاب لا عليك سأطلق سراحك وولدك. أما بقية القوم فوقفوا ولم يستطع أحد منهم أن يحرك ساكناً قال الرجل الأسير اسمع أيها الفارس. أنا بوجه الله أريد عفوك واسمع منى هذه الأبيات قال الشاب تفضل: قال:

الله رمانـــــي والمواقـــــف شنيعـــــة
وغديت ما أمـــلك عن حياتـــي دفاعـــي
ياعونـــــة الله ياحيـــــاة القطيعـــــة
الله مقـــدر للحيـــــاة الضياعـــــي
يا أبـــن الأصول النايفـــات الرفيعـــة
مالك ورى قتلـــي قضيـــة وداعـــي
اطلـــبك عفـــوك كان قولـــي تطيعـــة
أنـــا بجـــاه اللـــي فجوجـــه وساعـــي
العفـــو عنـــد أهـــل المكـــارم طبيعـــة
وتـــراك منهـــم بالعديـــم الشجاعـــي

وعندما سمع الشاب هذه الأبيات: قام واطلق سراح الرجل وقال اذهب إلى اهلك أنت وابنك وإبلك لقد اعتقتك لوجه الله وأما أنتم أيها القوم اذهبوا إلى أهلكم وأخبروهم بما حدث أما أنا فسأتوجه إلى جهة لا تعلمونها ورجع الرجل إلى بيته ومعه إبله وعاد إلى زوجته.. وإلى علوم أخرى من علوم التشامى وإلى اللقاء.



اختيار الزوجة

اليا سألتوني فهذا نسيبي ..!

● هذا هو ابن البادية هذه صفاته.. حماية الجار وإكرام الضيف وإغاثة الملهوف والنخوة العربية الأصيلة.. صفات تنقلكم إلى الصحراء البكر إلى مضارب البادية إلى صهيل الخيل إلى حنين الإبل.. إلى بيوت الشعر التي بنيت على العز والكرم إلى البطولات التي سطرها أهل الصحراء في عنفوانهم في شهامتهم في في أقدامهم. في مروءاتهم.. فإلى نادرة أخرى من النوادر وفي علوم أخرى من علوم النشامى.

● تعود أبناء البادية على اختيار الزوجة بشروط.. من أهمها :

أن تكون الفتاة بنت أصل وفصل ذات حسب ونسب رفيع فكثير من الشبان يعزفون عن الزواج بمن تكون قريبة أو من قبيلتهم فعندما يسمعون بفعل فلان من الناس فأنهم يتمنون أن يتزوجوا ابنته أو اخته طمعاً في النسل الطيب وحرصاً منهم على أن يصبح الابن مثل أخواله فللخال دور مهم في تكوين شخصية الابن.

● فقد سمع أحد الشبان من أبناء البادية بفتاة ذات عقل وجمال وأبوها رجل كريم وشهم وشجاع وهذا الشاب يمتلك هذه الصفات أيضاً.. فقرر والده أن يزوجه ولكن هذا الشاب رفض هذا العرض مدعياً أنه لا يرغب الزواج من فتيات عشيرته معللاً أنه لا توجد الفتاة التي تناسبه فكرر والده المحاولات ولكنه يرفض وبأستمرار.

قال والده من هي التي تريد.. هل تريد ابنة فلان الفلاني.. وقالها مازحاً وفلان هذا هو الشخص الذي ينوي الشاب التقدم له لخطبة ابنته.. قال الشاب نعم يا

والدي قال الوالد.. إن هذه الفتاة يا بني من عشيرة معادية وابنة شيخ ولا يمكن أن يقبل بك صهراً له لأنك حتى ولو كنت شجاعاً وكريماً فأنت لست ابن شيخ!

سأل الشاب والده يا والدي هل هذا الشيخ فعلاً شهم وشجاع قال الوالد نعم وبدأ يحدثه عنه ويسرد له بعض القصص والحوادث التي مرت على الشيخ والد الفتاة.

فتنهد الشاب.. وقال لقد زودت آلامي آلاماً أخرى يا والدي والله كنت أطمع في مصاهرة هذا الرجل من خلال ما سمعته عنه من بطولات وكرم وها أنت اليوم تزيد عندي الرغبة في تحقيق ما أريد فنهره والده قائلاً والله يا بني إنك بهذه الطريقة تظلم نفسك ألم تعلم أنها أي الفتاة مجاز شيوخ مثل والدها ثم ألم تعلم أنك بعيد عنها كبعد الثرى عن الثريا.. قال الشاب لوالده والله أحرم على نفسي النساء إن لم أتزوج من هذه الفتاة ابنة الشيخ.. عندها غضب والده وضربه على وجهه وطرده من البيت لأنه لا يعرف قيمته الاجتماعية مقارنة بقيمة الشيخ والد الفتاة.

فنهض الشاب من مكانه وركب فرسه واتجه إلى جهة لا يعلمها والده وسار في الصحراء يسأل عن عرب الشيخ والد الفتاة حتى عثر عليه وعندما دخل البيت سلم على الحضور فردوا عليه السلام. واكرموه وبعد مضي ثلاثة أيام سأله الشيخ من أنت يا فتى وماذا تريد قال له. أنا ياطويل العمر شاب طموح ووالدي لا يملك من المال شيئاً فأحببت أن أبحث عن مصدر للرزق وأرغب أن أكون راعياً لإبلك إذا كنت بحاجة إلى راع. قال الشيخ على الرحب والسعة. نعم نحن بحاجة إلى راع «مصلاح» أي عنده قدرة على القيام بعمله.

قال الشاب أبشر ستجد مني كل تفان واخلاص. أنا أدور العيشة وأبحث عنها وبحول الله سترضى عني.. قال الشيخ إذا غدا تأتي الإبل إلى الماء عندها ستكون أنت راعي. «النياق» الوضح.

وفعلاً أصبح هذا الشاب راعياً للإبل يسرح بها إلى المرعى.. ولكن ليس هذا الذي جاء من أجله فقد كان يقصد خطبة الفتاة وبعد مرور ثلاثة أشهر وهو معزز مكرم يحترم نفسه وكأنه لم يكن فارساً وكأنه لم يكن شجاعاً وفي ذات يوم جاء بالإبل إلى الماء. وإذ بإبنة الشيخ واقفة على البئر. ومعها أحد أخوتها ينتظرون وصول إبلهم لسقياها وإذا بالشاب ينظر إلى هذه الفتاة نظرات غريبة وكأنه يخفي شيئاً ما قالت له يا راعي الإبل ما اسمك. قال لها ستعرفينه فيما بعد.

قالت له وما نسبك. قال لها ستعرفينه فيما بعد. فأندهشت هذه الفتاة من هذه الأجوبة وكأنه يتوعدها بعمل ما. قد يحدث فسكتت وبعد أن شربت الإبل عادت إلى بيت والدها مع أخيها فقالت لأمها.. والله يا أمي إن راعي «الوضح» ليس راعياً كما يبدو وإنما هو أحد فرسان البادية ولكن كيف يرضى أن يكون راعياً عندنا إنه يقصد شيئاً قالت والدتها اتركي الأوهام ولا تغتري بشخصيته إنه مجرد راع.. ولكن الفتاة لم تقتنع بهذا القول إذ قررت أن تذهب كل يوم ترد فيه الإبل إلى الماء لتشاهد هذا الراعي لقد أصبح مهماً في حياتها.

لكنها لم تبح له بشيء لأنها لم تتأكد من هو ومن يكون إنه راعي إبل.. وبعد مرور ثلاثة أشهر أخرى قرر والدها أن يرحل عن الآبار وليبحث عن مرعى خصب ولكن هذا الموقع فيه خوف لوجود غزاة في ذلك الزمن وبعد أن استقر والدها في المكان جاءه غزو فأخذوا إبله «الوضح» والمجاهيم!!

وعاد الراعي الأول راعي المجاهيم ليخبرهم بما حدث أما راعي الوضح ذلك الشاب الفارس.. فقد بقى مع الإبل ولكنه لم يحرك ساكناً والإبل يسوقها الغزاة وهو ساكت لا يتكلم.. لقد تذكر فرسه وسيفه حيث لا يوجد معه لا فرس ولا سلاح. ماذا يعمل وبعد قليل لحق الشيخ بإبله وطلب من الغزاة تركها والذهاب في سبيلهم وهددهم بإن يقتل منهم من لم يستجب لهذا الطلب ولكن الغزاة

رفضوا قوله وقالوا له عليك أن تتقدم إلى ساحة الحرب أو تسلم بنفسك منا إننا لا نريد قتلك.

وكان الشاب يستمع إلى الحديث الدائر بين الغزاة وبين صاحب الإبل.. ولكنه يمشي على الأقدام.

أما راعي المجاهيم: فقد كلفته الفتاة بأن يأخذ فرساً أصيلاً من خيل والدها وسيفاً شطراً وعدة الحرب كاملة وقالت له اذهب وسلمها لراعي الوضح فأستجاب الراعي.. ولحق القوم.

وعندما اقترب منهم ناداه بأعلى صوته يا راعي الوضح اقترب مني واترك الإبل للغزاة فعرف الشاب أن هذه الفرس ارسلت له. فأسرع واستلمها وامتطى صهوتها. وهجم على القوم وراعى الإبل كان في حينه يقاتلهم دون إبله فأصيب الشيخ بطعنة ارتمى على أثرها على الأرض فشاهده الشاب فمر به قائلاً أبشر ياشيخ فلان ابشر يا شيخ فلان.. وكان الشيخ متأثراً بإصابته ولم يعرف من هو هذا الفارس.

وهجم الشاب على الغزاة وقتل منهم من قتل وأسر من أسر وخلص الإبل منهم وعاد بالشيخ إلى بيته ليتلقى العلاج وبعد أن شفي الشيخ وعرف أن الذي خلص الإبل هو الراعي.. قال له الشيخ أنت من تكون وما ذا تريد. قال أنا فلان الفلاني من العشيرة الفلانية وهدفي الأول والأخير هو زواج إبنتك إن وافقت.

قال الشيخ أبشر بما طلبت لقد أعطيتك أياها.

وأنت كفء بأن تصبح نسيباً لي لأنك خلصت إبلي من الأعداء وانقذت حياتي لقد شاهدتك وأنا مصاب تدافع عني وتضرب رؤوس الأعداء.. لقد زوجتك ابنتي لتذهب لإحضار المأذون ليعقد قرانك على «فلانة» وقد علم بالخبر أبناء عم هذه الفتاة وجاءوا مسرعين مهددين عمهم معارضين على تزويج ابنة عمهم من الراعي.. قال عمهم.. إنه يستاهلها لقد عمل كذا وكذا وهو من

عشيرة أصيلة ومن أناس أخيار.

قالوا لعمهم إن إبنة عمنا لا يتزوجها إلا شيخ مثلك ياعمي ولا تنسى أننا أحق بها من غيرنا.

عندها قال هذه الأبيات مبيناً لهم أنه سيزوجها هذا الشاب لا محالة :

يا عيـال اخويـه لا تجيبـون غيبـي
خلـوا مكـان مالكـم به مكانـه
مانـي وراكـم جعلكـم للذهيبـي
والقـول لو قلتـوه مالـه ضمانـه
أنـا ولـي أمـري كريـم رقيبـي
رب عبـاده يطلبـون الإعانـة
لا رأيكـم مقـدي ولا هو مصيبـي
والعقـل يفقـد لاعدتـه الرزانـة
واليـا سألتونـي فهـذا نسيبـي
والله ما نقبـل عليـه الإهانـة
يوم الغـزاة اللـي رمونـي صويبـي
ركب علـى الصفـرا وجـود عنانـه
وفك النيـاق وصار ضد الحريبـي
ولـولاه كان الـذود كثـر ذهبانـه
من الغـزو رجـع طيبـات الحليبـي
يصعب علـى مثلـي هذاك نسيانـه
عز الله أنـه فعـل فعـل عجيبـي
يشبـه فعـول التغلبـي في زمانـه

لقد عرف أبناء أخيه أنه سيزوج ابنة عمهم لهذا الفارس وقد شبهه بالفارس عمرو بن كلثوم التغلبي وتزوج الفتى من ابنة الشيخ الذي أعطاه عدداً من الإبل

وفرساً وعاد الشاب إلى والده ومعه العروس وأخبر والده بكل ما حدث له.. وعندها قال والده لقد تحققت امنيتك إنك رائع وفارس مغوار وإنه لشرف عظيم أن يكون الشيخ «فلان» نسيباً لنا.



نعطف على المحتاج والطيب عادة ..!

• التعاضد والتآخي والتكاتف من الخصال الحميدة التي زرعها الباري عز وجل في نفوس العرب الغيورين ومساعدة المحتاج أمر يهم كل إنسان كريم.

وأبناء البادية كانوا ولا زالوا يتمسكون بهذه القيم النبيلة مقتدين بالأخلاق الإسلامية السمحة. فلا يمكن أن يحتاج أحد إليهم إلا ساعدوه، ولا يمكن أن يحل الفقر على واحد منهم إلا وأعانوه. يرخصون المال من أجل الكرامة فالكرامة اشرف وانبل من المال فالمال يذهب والدنيا فانية، ولا يبقى إلا وجه الله هذه هي صفات البدوي الأصيل ابن الصحراء الذي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتخلي عن أقاربه أو أصدقاءه أو أبناء عشيرته أو من يلجأ إليه بعد الله من القبائل الأخرى وكلنا نعرف أن الإنسان لا بد من أن يحتاج لأخيه الإنسان هذه هي حال الدنيا. وقد جرت العادة عند أبناء البادية أن يقضوا الدين عن المدينين وهذه صفة كريمة وخلق رفيع يتحلى به كل بدوي.

هذه أيها الأعزاء نادرة أخرى من نوادر أبناء الصحراء الذين اكتسبوا من خشونة الصحراء الشهامة والمروءة والأقدام فلا يهمهم المال. بقدر ما يهمهم أن ينفق في سبيل الله وعلى من يحتاج إليه.

وقد تمر بعض الأيام على أحد الرجال يكون فيها من أغنى الناس ثم يذهب المال. نتيجة تقلب الأيام خاصة وأن أبناء البادية في السابق لم يكونوا يعتمدون على النقود بل كان اعتمادهم بعد الله على الإبل والغنم إلخ.

فقد يحدث أن تموت الإبل. وقد يحدث أن تجدب الأرض ولا يجد من يملك الإبل المرعى لإبله ومواشيه الأخرى وعندها يصبح فقيراً بعد الغنى.

مثلاً... هذا أحد أبناء البادية كان رجلاً شهماً وكان ينفق بعض ما عنده من أموال على الفقراء والمحتاجين وفي أحد السنين قدر الله أن تموت إبله بسبب وباء حل بها وأصبح الرجل بعد كل ما يملك من إبل صفر اليدين لا حول ولا قوة ولكن هذا الرجل كان اعتماده على على الله قوياً وقد زرع الكثير من الخير ومن الطبيعي أن يحصد زارع الخير ثمار زرعه.

لقد ضاقت به الدنيا وضاق به العيش ولم يعرف كيف يتصرف بعد أن أصبح لا يملك ناقة أو جملاً وكان أبناء البادية قبل وجود السيارات ينتقلون على ظهور الإبل كما هو معروف بقى الرجل في مكانه لا يبرحه.. فكر أن يعمل شيئاً وتذكر بعض من أسدى إليهم معروفاً. فحدثته نفسه باللجوء إليهم وطلب المساعدة منهم قال لزوجته سأذهب إلى مكان بعيد من أجل أن أدير حالنا مما نحن فيه قالت زوجته وهل تتركنا في هذا المكان بعيدين عن جماعتنا.. لماذ لا تذهب إليهم وتخبرهم بما حل بك فلعلهم يساعدونك بـ «رحايل» نحمل عليها البيت ونلحق بهم لنكون في أمان وانت تذهب لطلب الرزق قال لا أعرف إلى أي جهة ذهبوا.. لقد اضعناهم ولكن لا عليك أنت هنا في بيتك وأنا سأعود بحول الله بعد عشرة أيام على الأقل أو بعد شهر على الأكثر.

ذهب الرجل وترك زوجته واطفاله يعانون من الغربة في صحراء قاحلة لا يوجد لديهم إلا متاع قليل وماء قليل.

وصل إلى القوم الذين ظن أنهم سيساعدونه وحل ضيفاً على أحدهم.

فأكرمه وفي الصباح سأله المضيف عن أحواله وأخبره بكل ما حدث وقال المضيف حياك الله ونحن سنقوم بمساعدتك قدر الامكان :

وكان لهذا الرجل المضيف ابن شهم سبق وأن تعرف على الضيف وساعده في أمور عديدة. فسأل عنه الضيف فقال والده المضيف إنه مع الإبل وعندما تعود الإبل غداً ستشاهده وعادت الإبل في اليوم التالي. وجاء الشاب فشاهد الضيف ورحب به وسأل والده هل أكرمته يا والدي قال الوالد نعم. قال الشاب

إن هذا الرجل له فضل كبير علي لقد عمل كذا وكذا وأن مجيئه لنا شرف عظيم وعسى الله يوفقنا لسد حاجته وتلبية مطلبه. قال الوالد إنه يقول إن إبله قد ماتت وأصبح لا يملك شيئاً ونحن يا ولدي نريد أن نعطيه جملاً أو ناقة مساعدة له.

فتقدم الشاب إلى الضيف وسأله عن أحواله فأخبره بالتفصيل.. فقال الشاب ابشر إننا بحول الله سنساعدك.. قال الشاب لوالده إن جملاً أو ناقة لا تكفي هذا الرجل عليك أن تقدم له أكثر من هذه العدد فرفض الوالد وكان الضيف لا يعلم ماذا يدور بين الولد ووالده وكانوا يملكون إبلاً كثيرة وبعد مشادة بين الولد ووالده.. قال الوالد هل تريدين أن أعطيه كل الإبل إنك والله ولد مغرور وشقي. ألم تعلم أن هذه إبلي ولي لك فيها شي أو لا تعلم أنني صاحب الشأن لقد أمرت أن نعطيه جملاً واحداً فقط.. قال الولد ولك ما تريد يا أبي. قال الشاب للضيف.. أريد منك أن تذهب معي اليوم إلى البر لمرافقة الإبل إنني أرغب أن أتحدث معك كثيراً فقال الضيف ولك ما طلبت.

وذهب الشاب وضيفه وتركا الوالد في بيته وعند وصولهم إلى الفلاة قال الشاب والدي أمر لك بمجموعة من الإبل كهدية وعلى الأن أن أذهب معك إلى حيث بيتك لنقله إلى المكان الذي تريد ومن ثم أعود وأنت تبقى هناك. فقال الرجل الضيف كثر الله من أمثالك وقام الشاب وأخذ عشر نياق وثلاثة جمال وذلولاً. وسار بها هو وضيفه حتى وصلوا إلى البيت وعندها انتقل بأهله من المكان المجدب إلى مكان أخر وعند عودة الإبل سأل الرجل الراعي اين فلان وأين بقية الإبل. قال الراعي لقد أخذها وسافر مع الضيف إلى مكان لا أعرفه فغضب الرجل على ولده وعلى هذا التصرف.

أقسم الأب أن يقتل أبنه لو عاد أو شاهده. وبعد مدة قصيرة عاد الشاب ليعتذر لوالده فجاء إلى أمه في الليل، فأخبرته أن والده سيقتله جزاء عمله. وقالت له عليك أن تذهب إلى شيخ القبيلة وتخبره بكل ما حدث وتستجير به لعله يطلب لك من والدك العفو فجاء الشاب إلى الشيخ. وأخبره بما حدث وقال له

أنا أريد منك أن تنجيني من والدي إنه قطع على نفسه عهد بقتلي وأنا ما عملت إلا فعل التشامى الذي يرفع من قدره بين العرب.. قال الشيخ لا عليك سأحاول ذلك.

وفي الصباح أرسل الشيخ بطلب والد الشاب وقال له إن ولدك عمل هذا العمل من أجلك وقال للضيف إنك أنت الذي أمر بذلك فلا داعي أن تعاقبه لأنه عمل خيراً وأنا بصفتي شيخاً للعشيرة أطلب عفوك عن أبنك.. فقال الرجل للشيخ لا يمكن ذلك ولكن بناءً على طلبك سأطلب منك أن تأمره بالابتعاد عني وإذا شاهدته سينال عقابي لأنه وقع مني يمين على ذلك وكان الشاب شاعراً ففاضت قريحته بالابيات التالية قالها ارتجالاً أمام الشيخ ووالده :

إن كان فعل الطيب يرث قراده
عز الله أنسي من حساب الشقيين
وإن كان فعل الطيب فيه الزيادة
أفوز بالبيضا وعندي براهين
يا بوي ما بالبخل ذكرت فياده
البخل عيب ويشهدون الكريمين
عطيت من مالك وعندي شهادة
ولا فيه عيب الياعطيت الشجيعين
رجل حداه الوقت من غير راده
وجانا يدور مدة تفرح العين

ثم قال يخاطب الشيخ :

يا شيخ الدنيا ما تساوي جراده
تزول لو نملك كثير الملايين
والمال مهما زاد عجل نفاده
وتبقى علوم الغانمين الشريفين

وقال مخاطباً والده :

الرجـــل يا بويـــه بحكـــم اجتهـــاده
وتتـــعب علـــى العليـــا رجـــال عزيزيـــن
وحنـــا بعـــون الـــرب خالـــق عبـــاده
نعطي بأمـــر اللـــي له عيـــده مصليـــن
نعطـــف علـــى المحتـــاج والطـــيب عادة
بأمـــر الإلـــه المعتلـــي يقضي الديـــن

وعندما سمع والده وشيخ العشيرة القصيدة قالا له لقد أحسنت ونهض الشيخ وقبل رأس والده وطلب أن يعفو عنه فقال الوالد لقد أحسنت يا ولدي.. وقد عفوت عنك ولك الأمان. وإلى علوم أخرى؟.



يعفو عن قاتل ابنه ويتكفل بتربيته

مصيبة حلت على طارد الصيد

هذا اليتيم اللي جفوه القرايب

● كم هي القصص العربية التي تتحدث عن العفو والشهامة منذ عصر الجاهلية.. وهما صفتان أصيلتان يتميز بهما العربي.. هذه إحدى نوادر العفو والوفاء التي حدثت في باديتنا من قديم وبطلها أحد أبناء البادية ومن قبيلة معروفة.

● من عادة أبناء البادية وحتى اليوم البحث عن المراعي الخصبة لإبلهم ومواشيه وقد يكون هذا المكان الخصب بعيداً عن منازل القبيلة التي تنتمي إليها القبيلة وكان من الممكن أيامئذ أن يتعرض البدوي إلى السلب والنهب خاصة إذا كان بمفرده دون جماعة ولكن هذا كله لا يهمهم في سبيل الحصول على المكان الخصب ففي مرة ذهب أحد أبناء البادية ومعه إبله وراعي الإبل إلى مكان خصب يتوفر به المرعى. ونزل بأحد (الريضان) وكان لهذا الرجل ولد في العشرين من عمره كان هذا الولد مولعاً بالصيد حيث كان يذهب في الصباح ولا يأتي حتى المساء حيث يأتي بالصيد لوالده ووالدته وقد صادف أن ذهب هذا الشاب إلى البر يرافقه عدد من الشبان من المجاورين لوالده ومن بينهم شاب يتيم الأب وفي الفلاة حدثت مشاجرة بين الشاب ابن هذا الرجل وبين الشاب اليتيم. وقدر الله أن يقتل الشاب على يد الشاب اليتيم. وجاء المساء ولم يرجع الشاب إلى أهله كعادته وذهب الشاب القاتل حتى دخل على والدته وأخبرها أنه قتل ولد الجار. فصاحت المرأة وقالت ليس لي ولد غيرك وتقدم على هذا العمل إنهم سيقتلونك والد المقتول إنه سيأخذ بثأر إبنه ففكرت أن تذهب ومعها ولدها وتخبر والد الشاب المقتول بما حدث وتخبره أن ولدها ليس له أب وقالت لنفسها لعله يعفو عنه إن شاء الله.

ذهبت المرأة إلى بيت الرجل والد المقتول ومعها إبنها القاتل.

فقالت يا أخا العرب أنا امرأة توفى زوجي وخلف هذا الولد لا يملك من الدنيا شيئاً وأنا امرأة أرملة فأريد منك أن تعطف عليه. قال لها ابشري ولكن ماذا حدث فقالت أريد منك أن تعطيه الأمان وسأحدثك عن كل شيء ولم يكن الرجل ليتوقع أن يكون هذا الشاب هو قاتل ولده. فقال وعليك وعليه الأمان. فقالت وشي على هذا الكلام قال عليه الله وأمان الله فقالت إذا سأحدثك. وكان الشاب ساكناً لا يتكلم مسلماً أمره لله فقالت المرأة.

اخبـرك يا ذخـر الرجـال الصناديـد
بأمـر حدث لي من كبـار الـمصايب
مصيبـة حلت علـى طارد الصيـد
هذا اليتيـم اللـي جفـوه القـرايب
والـرب قدر ما عن القـدر ترديـد
يقتـل ولـدك بدون ذنب وسبـايب
واليـوم حنـا ما لنـا عنك تصديـد
وحنـا بجـاه الله جزيـل الوهـايب
جينـاك وسط البـيت يا مفنـي الغيـد
نطلـبك عفـوك يا زبـون النـوايب
امـا اعتقـه لله واوف المواعيـد
وإلا اذبحـه بالسيـف والقـلب طايب

لم تستطع المرأة أن تكمل القصيدة لأن الرجل وزوجته اجهشا بالبكاء وعلما أن هذا الشاب قد قتل ولدهما ثم قامت المرأة وقالت والله إن جماعته يتبرأون منه وليس له من ملجأ ولا ملجأ إلا الله ثم أنت فأعتقه لوجه الله أو اقتله وخذ بثأ ولدك.

قال الرجل والد القتيل ابشر أيتها المرأة لق اعتقته لوجه الله وإنني سأتخذه ولداً لي عسى أن يكون عوضاً عن فلان فبكى الشاب وبدأ يقبل رأس هذا الرجل.



الناس مبطي.. قالت: «العرق دساس!»

يحرص ابن البادية على تقاليده في اختيار شريكة حياته.. وأهم شيء يحرص عليه هو أن تكون شريكة حياته من بيت يتميز راعيه بالشجاعة والكرم.. ولا يهمه دون ذلك أي شيء من مال أو جاه.. أو — حتى — جمال، حرصاً منهم على أن يكون ابنه مماثلاً لجده لأمه.. أو خاله. وهكذا.

وحتى هذا العصر فإن كثيراً من أبناء البادية لا يهمهم جمال المرأة بقدر ما يهمهم من يكون أهلها.

وهذه قصة حقيقية حدثت نسوقها إليكم هذا الأسبوع.

يحكى أن شاباً من أبناء البادية يتحلى بصفات الكرم والشجاعة والنسب الرفيع. كان له أخ أصغر منه وكان هذا الأخ الصغير يدرك تمام الادراك أهمية النسب وقد وقع الشاب الكبير في حب إحدى فتيات عشيرته وكانت ذات جمال وعقل باهرين ولكن كان أهلها دونهم نسباً وشجاعة ولكن أخاه كان قد أعجب بها وقرر أن يتزوجها.

فتقدم لأهلها وطبيعة الحال بالنسبة لأهل الفتاة يعتبر لهم مكسباً لما يتمتع به من الصفات الكريمة ورفعة النسب فرحبوا به. وتم الزواج وكان أخوه غير راض ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً لأن احترامه لأخيه الأكبر جعله يقف موقف المتفرج العاجز.

وبعد مدة من الزمن انجبت له ثلاثة أطفال ذكور وقد قرر الأخ الأكبر أن يزوج أخاه الاصغر فقال له يا فلان أريد أن أزوجك فمن هي الفتاة التي ترغب الزواج منها. فقال الأخ الأصغر أريد «فلانة» بنت فلان قال الأخ الأكبر. لقد

خيبت ظني بك. أنت شاب وسيم وابن كرم ولنا من السمعة ما يجعلنا نباهي بها الآخرين فكيف ترضى أن تكون «فلانة» زوجتك.

إنها قصيرة القامة ولا تتمتع بأي جمال، وإنني يا أخي أخجل من هذا النسب.

قال الأخ الأصغر.. نعم صدقت ولكن لا تنس أن أهلها من الأخيار وأصحاب نخوة وكرم، وإذا لم تتقدم وتخطبها لي فإنني لن أتزوج أبداً وأمام هذا الأصرار وافق الأخ الأكبر على طلبه وخطبها من أهلها.. وزوجها لأخيه وانجبت هي الأخرى ثلاثة أطفال ذكور.

ومرت الأيام وكبروا أبناء الأخ الأكبر الثلاثة وكبر أيضاً أبناء الأخ الأصغر الثلاثة وكان وقتها أيام تفرق القبائل وانعدام الأمن ــ كان هناك سلب ونهب وغارات تشنها القبائل على بعضها وكان الأخوان ــ يسكنان معاً ــ في بيت واحد مع زوجتيهما وأولادهم وفي إحدى الأيام جاءهم راعي الإبل جاء ليخبرهم أن الإبل سلبت فركب الأخوان فرسيهما وركب أبناء الأخ الأصغر خيولهم أما أبناء الأخ الأكبر فقد تشاوروا على البقاء في البيت ولم يفزعوا لأبيهم وعمهم وأبناء عمهم.

ولحق العم وأخوه وأبناء الأخ الأصغر بالغزاة وخلصوا الإبل بعد معركة طاحنة تبين لهم فيها شجاعة الأبناء الثلاثة أي أبناء الأخ الأصغر.. وعادوا معهم الإبل منتصرين.

وعندما شاهد الأخ الأكبر أبناءه وهم متخلفين عنه وعن أخيه وأبناء أخيه.. عرف أن هذا التأخير جاء نتيجة لخوفهم وعدم مبالاتهم بالإبل التي كان لها الفضل بعد الله في معيشتهم وأهلهم فقرر أن يتركهم وشأنهم ويبحث عن امرأة أخرى وفعلاً تزوج ورزقه الله بولدين وعندما بلغ هذا الرجل وزوجته سن الشيخوخة كان أبناؤه الثلاثة يعاملونها بعقوق وبعد أن تزوج كل واحد منهم قرروا أن يرحلوا ويأخذوا الإبل والبيت ويتركوا أمهم ووالدهم وزوجته الأخيرة أم

طفليه الصغيرين. أما عمهم فقد قتل في إحدى المعارك وبقى أبناؤه وعندما علموا بحال عمهم الصغيرين حتى كبرا وتدربا على الفروسية وذات يوم جاء أحد الأخوة الثلاثة العاقين لوالدهم يصرخ لقد أغارت عليهم إحدى القبائل وأخذت الإبل وسمع الوالد الكبير هذا النداء فقال لولديه الصغيرين محاولاً أن يجبرهما في خوض المعارك إن الإبل هي إبلي وهؤلاء هم إخوتكم وهم أبنائي فعليكما بصلة الرحم ومساعدتهم وفعلاً انطلقا الشابان وبكل ثقة وخاضا معركة مع الغازين وخلصوا الإبل وهكذا تبين لهذا الرجل الذي إغتر في بداية حياته بالجمال واهتدى في أخر عمره إن «العرق دساس» وقد انطبق المثل الشعبي القائل «من أخذ من قوم قعدوا على جال ناره»

وجعل يردد قول الشاعر :

بنت الـــردى لا تقبلــه قيــد
كبــه ولــو تجـيك منهــا المراسيــل

ثم قال قصيدة طويلة منها :

صحيح من قال الـنسب يرفـع الـرأس
وصحيـح بنت العفــن يفسد ضناهــا
النـــاس مبطـــي قالت العــرق دساس
والساس يظهــر طيبهــا من خطاهــا
أنــا غلـطت وكـل غلطــة بمقيــاس
والحـقت أنــا النـفس الشقيــة هواهــا
ما كنت أفكــر بالمشاكــل والأتعــاس
حتــى تبيــن ما ظهــر من خفاهــا
وعرفت كل اللي مضى وانتهـى اليـاس
ورديت والــردة كبيــر جزاهــا
أخــذت بنت الصيرمــي زاكــي الساس
والله رزقنــي يوم ربــي عطاهــا

يقول أنه أخطأ ولكن في البيت الأخير يبين أنه تزوج من ابنة رجل كريم وشجاع وقد رزقه الله بولدين أعادا إليه كرامته وبقيا إلى جواره يخدمانه حتى توفاه الله.

وإلى علوم أخرى من علوم النشامى.



واسدما نقبل على الضيف ينضام!

نعم إنهم أبناء العرب الذين يكرمون الضيف ويحمونه في أحلك الظروف..

مرة أخرى هذه ــ أيها الأعزاء ــ هي قصة من قصص الوفاء عند أبناء البادية وننقلها لكم في هذه الحكاية من علوم النشامى.

● كان من عادة ابن البادية قبل وجود وسائط النقل الحديثة أن يمتطي صهوة جواده أو يركب على ذلول.. يقضي بهما حاجاته كوسيلة متاحة للمواصلات في ذلك الوقت. وابن البادية عندما يفقد أحد إبله أو بعضهما فإنه لا يتردد في أن يذهب ليجوب القفار والبراري بحثاً عن هذه الضالة حتى أن البعض قد يمر أثناء سيره على قبلية معادية أو يتعرض في الخلاء إلى الأخطار.. من قبل الوحوش الضاربة أو يتعرض للعطش.. والجوع. وكل هذه الأشياء لاتهم ابن البادية بل المهم هو أن يجد ما فقده من إبله.

كانت هذه هي حال ابن البادية. ومن المعلوم لدى الجميع أن لكل عشيرة أو قبيلة (وسم) و(الوسم) عبارة عن كي نار يوضع على رقبة الناقة أو الجمل ولكل عشيرة وسم خاص تعرف به إبلها وحكايتنا هذه تقول :

أحد أبناء البادية. فقد ثلاث نياق من أفضل الإبل فركب فرسه وذهب إلى البراري يبحث عنها ومثلما كان لهذا الرجل أصدقاء فقد كان له أعداء وكانت هذه حال الجزيرة العربية قبل توحيد المملكة واستتباب الأمن فيها. حيث كانت علاقات القبائل قائمة على السلب والنهب والغزوات المتبادلة.

وقد صادف أن يأتي أحد الرجال وهو من قبيلة معادية إلى إبله ليجد النياق الثلاث مع الإبل. فعرف الوسم. وقال لراعي إبله هذ النياق عليها وسم القبيلة

الفلانية وهم كما تعلم أعداء لنا فعليك أيها الراعي المحافظة عليهن من أن يؤخذن على غرة. وقد التزم الراعي بالوصية.. وكان صاحب النياق يبحث عنهن في كل مكان.. وذات يوم وأثناء تجواله على المراعي والإبل وجد نياقه واتجه إلى الراعي وقال إن هذه النياق. لي وأريد منك أن تطلب لأعطيك جزاء حفظك لهن. قال الرعي. إن هذه النياق ضمن هذه الإبل ولايمكن أن تأخذهن. لأن صاحب الإبل أوصاني بالمحافظة عليهن. وما عليك إلا أن تتوجه إليه وعند موافقته لا أمانع من ذلك. أنا مجرد راع ولا أملك حق التصرف فيها وأخبره باسم الرجل صاحب الإبل التي وجد بينها نياقه فاتجه الرجل إلى بيوت الشعر.. وسأل عن كبير القوم: وحل ضيفاً عليه.. وبعد مرور ثلاثة أيام سأله صاحب البيت من تكون وماذا تريد.. وكانت العادة تقضي أن لا يسأل الضيف عن حاجته إلا بعد مرور ثلاثة أيام من ضيافته.. فأخبره بقصته وأخبره باسم صاحب الإبل.

أما صاحب الإبل فأخبره الراعي بما حدث. عندها قرر أن يخفي هذه النياق حتى لا يطالب بها وأن تمت مناقشته سيؤكد لهم أنها غير موجودة مع الإ وطلب كبير القبيلة حضور صاحب الإبل. فقال له إنه يوجد مع إبلك ثلاث نياق لهذا الرجل الضيف قال صاحب الإبل. النياق غير موجودة ولا شاهدتها أبداً قال الضيف صاحب النياق. قبل ثلاثة أيام أنا شاهدتها مع إبلك والراعي يشهد بذلك. قال صاحب الإبل. أنت من قبيلة معادية وحتى لو كانت هذه النياق موجودة لايمكن أن تسلم لك. ودارت المناقشة ولكن كبير القبيلة لم يقتنع بهذا القول فقد بعث إلى الراعي. ورسأله فقال له إن تكلمت بشيء غير صحيح سأقطع رأسك بهذا السيف.

عندها اعترف الراعي وأبلغ كبير القوم أن صاحب الإبل تعمد أن يخفي النياق حتى لا يطالب بها.

قال كبير القوم. يا فلان عليك احضار النياق واعطاؤهن لصاحبهن فوراً وبدون تردد ألم تعلم أنه ضيف.

● قال صاحب الإبل اعطني مهلة لمدة يوم وسأقوم باحضار ما طلبت قال ولك ما طلبت.

فذهب الرجل إلى أقاربه وأخبرهم بما حدث له مع كبير القوم. وحرضهم على مساعدته وبدأ يذكرهم ببعض المشاكل التي حدثت بين عشيرته والعشيرة التي منها صاحب النياق. فثارت حميتهم واتجهوا إلى بيت كبير القوم وقالوا له انك مخطىء هذه النياق هي لأعداء لنا كيف تريدنا أن نسلمهن لعدو يجلس في بيتك. والله لولا أن يقال قتلوا ضيف كبيرهم لقتلناه الآن.

قال صاحب البيت وبإصرار إن ما ذكرتموه معروف لدى ولكن لابد من احضار النياق وعندما يصل هذا الرجل ونياقه إلى قومه. عليكم مهاجمته إن شئتم وأنا أول من يتقدم صفوفكم للغزو عليهم وعندها سيكون موقفنا مشرفاً وهذا أفضل من أن نترك ضيفنا يذهب وهو مكسور الخاطر.

وبدأت المشادة بين كبير القوم وجماعته. حتى كاد أن يكون وحيداً في رأيه الذي يصر عليه.

ولكن هذا الرجل لا تليق له قناة فهو شهم وشجاع ويعرف جيداً قيمة الضيف.قال لهم.. إن هذا السيف الذي تشاهدونه بيدي الآن هو الفيصل بيني وبينكم إذا استعدوا لملاقاتي ومن أراد التخلي فعليه إبلاغي حتى لا يتعرض لأذى ونهض الرجال من عنده وتشاوروا وقرروا أن يجابهوا كبيرهم لأنه حسب اعتقادهم أصبح عدواً لأن صديق عدوك عدو لك كما يعتقدون.

فأرسل يطلب أبناء عمه وأخواته وأخبرهم وحثهم على مقاتلة هؤلاء حتى يرضخوا للحق والواقع. ويستجيبوا لطلبه وقبل أن يجهز للهجوم عليهم أرسل لهم قصيدة منها قوله :

يا الربـــــع ما نرضى حزازات وخصام
أيضا ولا نرغب ضيـــاع العشيـــرة

الضيـــف فيـــه معزبـــه دوم ينـــلام
إن كان قصر بالحقـــوق الكبيـــرة
والله ما نقبـل علـى الضيـف ينضام
نشـى من دونـه بالسيـوف الشطيـرة
حنـا عرب فينـا الشهامـة والأقـدام
ودرب الشرف ما نتبـع درب غيـره
يا ربعنـا لا يغركـم قول نمـام
وفـي طاعتـه تصبـح عليكـم كسيـره
هاتوا نيـاق الضيـف يا الربـع بشمـام
ولا علـي العـاصي نكب المغيـره
والله لوهـن من ورى نقـره الشام
يبشر بهـن بالـغصب وأنـا بشيـره

والقصيدة أطول من ذلك.. فوصلت إلى جماعته الذين يصرون على عدم إعادة النياق لصاحبهن.. فعرفوا أنه لا مناص من المواجهة. فتقدم بعض أصحاب العقول. واقنعوهم.. أنه لا بد من إعادة النياق وفعلاً جاءوا بالنياق وسلموهن لصاحبه. وعندما استلم الضيف نياقه.. قال قصيدة طويلة وبعدها شكر لمضيفه هذه البادرة.



ابن المدينة والكرم

والمال كنز من كبار العذاريب
وشس فايدة لا قيل ما ينفق المال

الكريم حبيب الله له صفاته الخاصة.. إذ يبذل المال من أجل وجه الله لا من أجل أن يقال فلان كريم.

وبعض البخلاء يعتقدون أن من يعطي من ماله ويكرم ضيفه بالولائم يعتبرنه مبذراً لأنهم ممسكون بالمال لا ينعقون منه شيئاً فتجد بعضهم مقصراً حتى في حق نفسه. فما بالك به حيال الأخرين وهل من الممكن أن يبذل ماله لغيره. بالتأكيد لا.

ومن العلوم التي بها مواقف مشرفة هذه الحادثة التي حدثت لأحد أبناء المدينة. حيث كان راتبه ضعيفاً جداً لا يفي بحاجة أطفال ورغم هذا فإنه يعطى كل ما يملك بكرم ضيوفه.. يسد حاجة المحتاج بقدر ما يستطيع وعرف الرجل من قبل الجميع فالكرام يطلقون عليه صفة «الرجل الكريم» والبخلاء يطلقون عليه لقب «الرجل المبذر» ينتقدون كل تصرفاته حتى أن بعضهم يأتي ليقابله فيسدي إليه النصائح بأسلوب غير لائق يختتمه قائلاً لماذا لم تسدد ديونك؟ والأخر يقول له لقد ضيعت نفسك بكثرة الذبائح وثالث ينصب من نفسه رجل النصح والإرشاد ويقول له إن ما تعمله ليس صحيحاً انظر إلى فلان وفلان عندهم أموال كثيرة ولم يبذروها ولم يعطوا مثل ما يعطي.

وبعضهم يقول لهذا الرجل الكريم إذا استمريت على هذا الحال فإن مصيرك سيكون السجن لأن الناس لا تترك حقوقها. لقد تراكم عليك الدين وأصبحت لا تستطيع أن تؤمن معيشة أولادك.

ورغم كل كثرة هذه النصائح غير الخالصة لوجه الله وهذه الشعارات التي يطلقها عليه البخلاء كان لا ينصت لهم ولا تهتز مواقفه ولا تتغير اتجاهاته واستمر في طريقه الذي ارتضاه لنفسه.. لأنه يؤمن أن ما تعطيه اليوم سيعود غداً وأراد الله بقدرته وإرادته نافذة فيها لهذا الرجل الكريم باب رزق وأصبح يملك الملايين من الريالات لكنه لازال على تواضعه وطيبة قلبه.. كان يعرف جيداً ماذا يعمل وماذا يفعل.. هناك من ساعدوه في بداية حياته عندما كان الفقر مخيماً عليه فكافأهم ومد لهم يد العون والمساعدة أما أصحاب النصائح «البخلاء» فلم يسيء إليهم أيضاً ونالوا منه جزاء حسناً وأمدهم بما أعطاه الله عندها تغيرت أراؤهم وبدأوا يسبغون عليه المديح ويمنحونه من الألقاب الكثير كقولهم له مثلاً الشيخ ويخاطبونه بعبارة يا طويل العمر.

ومرت الأيام وبعد سنوات عديدة كانوا خلالها يحيطونه من كل الجوانب صباحاً ومساء يقيم لهم الولائم ويحملهم بالهدايا ومنها السيارات والأموال الطائلة.

وفجأة دار الزمن دورته وتغير الحال فأصبح هذا الرجل لا يملك من المال إلا القليل ورحل عن المدينة واتجه إلى جهة أخرى ليطلب الرزق من الله ساعياً في الأرض مقتدياً بقوله تعالى: **﴿فأمشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾**.

ومع هذا التغير تغير أصحاب الولائم فتفرقوا من حوله وتركوه وحيداً يصارع الحياة وبدأوا سيل اللوم وعبارات النصح من جديد وعادوا يرددون على اسماعه ما قالوا له سابقاً وكأن هذا الكريم لم يقدم لهم شيئاً فمنهم من يقول إن العطايا والهدايا التي كان يهديها عبارة عن نفاق لوجه فلان وفلان وبعضهم يقول إنه كان يعطي الشعراء من أمواله ليمدحوه وأخرون أدعوا أنهم لم يحصلوا منه على أي شيء لكن شماتتهم لم تدم فعناية الله اكبر مما قالوا والله يهب رزقه لمن يشاء فقد ثابر الرجل واشتغل بالتجارة ورزقه الله مرة اخرى وأعطاه الله من حيث

شاء. وعاد بعد أن أصبح يملك المال الوفير إلى المدينة ليستقر بها تحت ظل رب العزة والجلال ثم في ظل قيادة هذا البلد المعطاة. وليساهم هذا الشهم في خدمة دينه ومليكه ووطنه.. عاد إلى المدينة وكله ثقة بالله وكله أمل في أن يقدم الخير. ولا يضيع الله له الأجر.

واستقر الأمر بهذا الرجل وأصبح ولله الحمد من أصحاب رؤوس الأموال ولازال ينفق في سبيل الله وسيظل الأخيار مثله ينفقون ويساعدون المحتاج إلى أن يرث الله هذه الأرض ومن عليها.

وبعد أن عاد له المجد جاء من يسأله عن أحواله وعندها كانت إجابته شعراً حيث قال :

حمدت خلاق البشر عالم الغيب
رب السما منزل تبارك والانفال
الله كريم ولا لنا عنه تجنيب
رزاقنا المعبود حلال الأشكال
يامن سألت افهم كلامي بترتيب
اعطيك علم مابه شكوك واجدال
واخبرك بالتفصيل ما فيه تكذيب
من فضل ربي عزنا وزانت الحال
والمال كنزه من كبار العذاريب
وشي فايدة لا قيل ما ينفق المال
لا صار ما يعطي نهار المواجيب
يزول لو أنه من طعوس واجبال
ولولا الوفا والطيب ما نفعل الطيب
يبقى لنا ذكره على مر الاجيال

ورزقي على رب السمـا عالـم الغـيب
ما نستمع لا جل الكرم قول من قال

وهكذا تعود الأمور إلى نصابها ويعود المال إلى من يستحقه.

وهكذا يسطر هذا الرجل بأخلاقياته قصة من علوم النشامى بعد أن كافح واستعان بربه ليعطيه الرزق الحلال من عنده فهو المعطي والمنان وهو رب العالمين الرحمن له الحمد والشكر وله الفضل والعرفان.

وإلى لقاء أخر في علوم أخرى ولكم التحية.



خوينا ما هو رخيص علينا

● ما أروعها من صفات جميلة يتمتع بها ابن البادية هذه الصفات المتمثلة في النخوة والشهامة وحماية الجار والمستجير وللخوى عند أبناء البادية شأن عظيم لا ينقص من قدره شيئاً يحترمونه ويوقرونه حتى ولو ارتكب خطأ ضدهم فإنهم يتجاوزون عن هذا الخطأ تقديراً له ولأخوته وهذه نادرة من نوادر النشامى يسطرها ابن الصحراء الذي عاش وترعرع على هذه الأرض الطيبة.

● قبل وجود وسائل النقل الحديثة كان أبناء البادية ــ كما هو معروف ــ يعتمدون في أسفارهم على الأبل. أما لجلب بعض الأرزاق من المدن أو للسفر إلى الحج أو الذهاب إلى مكان يرافقهم رجل أو أكثر من عشيرة أخرى وبالتالي كان هذا الغريب له مكانه خاصة في المعاملة يقدمونه عليهم في الشرب والأكل وتناول القهوة ويركبونه ذلولاً من أفضل إبلهم تكون جيدة ويرفضون أن يمشي على قدميه في حالة عدم وجود راحلة معه يركب عليها.

سافر أربعة رجال من عشيرة واحدة واتخذوا أحدهم أميراً عليهم يطيعون أوامره لأنه بطبيعة الحال سيلاقي في الطريق من يعترض سيرهم. وقد سافروا إلى منطقة تبعد كثيراً عن منازلهم وهدفهم جلب الطعام إلى أهلهم وكانت قافلتهم تضم عشرة جمال كل جمل مخصص لنقل حمل من القمح أو التمر أو الدقيق وأثناء سفرهم مروا بعشيرة يقطنون إحدى الريضان فاستراحوا عندهم قليلاً وسألهم مضيفهم إلى أية تتجهون فابلغوه أنهم متجهون إلى المدينة «الفلانية» فسأل أهله هل نحن بحاجة إلى حبوب فاخبروه أنهم بحاجة فقال للضيوف هل تقبلونني رفيقاً لكم إلى هذه المدينة قالوا جميعاً أهلاً وسهلاً فقال إذاً سأرافقكم على بركة الله واحضر راحلته واتجهوا جميعاً يجوبون البراري والقفار وأثناء سيرهم

مرضت راحلة خويهم فلم تستطيع السير مع رواحلهم فقال له أحدهم ياخوينا عليك أن تعود إلى أهلك فنحن لازلنا في بداية الطريق وهاهي راحلتك تتعثر ولا يوجد لدينا راحلة بديلة قال لهم عندما اصل معكم إن شاء الله إلى المدينة سأشتري راحلة واجلب عليها الطعام الذي اشتريه.

قال أميرهم نعم إن هذا الرأي صائب ولكن يا ترى هل تباع إبل بهذه المدينة أم لا قال رفاقه لا.. الإبل عندها أهلها ويعنون أهل الصحراء.

قال الرجل الأول يا فلان ويعني رفيقهم هات «العدول». وضعها على راحلتي وعندما نصل إلى المدينة يفرجها الله.

قال أميرهم. لقد ماتت راحلتك يا خوينا وليس من المؤكد أن نجد راحلة في المدينة فعليك العودة إلى أهلك فقال الخوى نعم إن هذا الرأي صائب ولكن الآن أصبح بيني وبين أهلي مسافة بعيدة ولا يوجد لدي راحلة قال أميرهم ضع «العدول» واذهب بنفسك إلى أهلك فاتفق الجميع على هذا الرأي. ما عدا شخص واحد منهم فقد كان صامتاً ولم يدل برأيه فسأله أميرهم يا فلان أراك ساكناً ماذا تقول..؟

قال: أنا من وجهة نظري أن لايعود هذا الرجل إلى أهله لأن عودته صعبة. فقد ماتت راحلته والمسافة بعيدة قد يتعرض إلى خطر الوحوش ومن رأيي أن يذهب معنا قال أميرهم لقد أخطأت لا يمكن أن يذهب لأن ذلك مشقة علينا وعلى رواحلنا قال الرجل: لا بل سيذهب وهذا «خوى» ونحن عرب لا نستطيع التخلي عن «الخوى» ألم تسمع يقول الشاعر :

خوينـــــا ما نصبلـــــه بالمصالـــــيب
يجبـــر بنـــا لو هو كسيـــر العظامـــى

وألم تسمع بقول الشاعر :

ترى الخـــوى والضيـــف والثـــالث الجـــار

تدخل أميرهم قائلاً: لقد أمرته بالعودة وأنا الذي أقرر ذهابه من عدمه قال الرجل أنت أمرك مرفوض. والله لن اختلى عنه حتى لو كلفني هذا الأمر الانفصال عنكم فقال له أميرهم ورفيقاه أنت الآن أصبحت عالة علينا وعليك أن تفارقنا في الحال فتدخل «الخوى» قائلاً: ياجماعة هذا الشيء لا أرضاه بل أنا سأعود.. قال الرجل صاحب النخوة لا عليك أنت «خويي» وما يلحق بي يلحق بك من سراء وضراء فلا يهمك قولهم. أن هذا السيف «ويشير إلى سيف يحمله» لم أحمله من أجل أن أخضع لرجال يريدون تشويه سمعتي وبسمعتهم هذه إحدى رواحلي اركب عليها. وتوكل على الله عندها غضب أميرهم ومن معه وقرروا التخلي عن رفيقهم وابن عمهم بسبب هذا «الخوي» وانعزل الرجل ورفيقه عنهم.

● واتجها إلى المدينة ووصلاها واكتالا ووجدوا راحلة اشترياها وأما أميرهم ومن معه فقد ضلوا الطريق واتجهوا إلى جهة غير معلومة وبعد أن عاد الرجل ورفيقه كل واحد إلى أهله ولم يعلما عن مصير الأمير ومن معه سألوه جماعته عنهم وكان جوابه لا أعلم عنهم لقد انفصلت عنهم ولكنه لم يبين الأسباب محافظة على كرامتهم.

وبعد مرور وقت من وصوله وصلوا رفاقه ولكن بدون «كيل» وبدون رواحل فقد أخذت منهم من قبل غزاة تعرضوا لهم فقال أميرهم لجماعته لقد تركنا هذا الرجل وهرب عنا ونحن نقاتل الأعداء حتى سلبونا رواحلنا وما نملك من مال وعاركم ويعني العشيرة مقاطعته وعدم احترامه وكان يحرضهم بالسر والعلن. فلما نما إلى مسامع رفيقهم الكريم الشهم. هذا القول فاتجه إلى شيخ القبيلة واخبره بكل ماحدث ولكن لم يصدقه لأن شهادة الرجل الواحد لا تساوي شهادة ثلاثة فقرر الشيخ أن يعاقبه ويبعده عن القبيلة فأمره بالرحيل وقال له من يهرب من رفاقه ليس من هذه القبيلة وليست له مكانة عندنا. قال الرجل لنفسه لابد أن اذهب إلى الرجل الذي خاوانا واحضره لكي يشهد لي ويبيض وجهي أمام قبيلتي، ومن الممكن أن يقتنع الشيخ بقوله وطلب مقابلة الشيخ وأذن له قال يا شيخ أنا عندي

شاهد وسأحضره قال الشيخ بعد رحيلك سنطلب منك ذلك فقال الرجل الكريم:

يا شيـــخ لاقلتــوا تبعــد مشينـــا
ورزقــي علـــى رب عبيـــده ترجـــاه
وشلـــون ترضى كلمـــة السوفينـــا
ناس تقـول الـــزور والحـــق تكنـــاه
يا شيـــخ والله بالحقيقـــة حكينـــا
وعـيب علـى اللـــى قال قولـــه وسواه
أخبـــرك أنـــا يا ترثـــة الغانمينـــا
بشيء حدث في سفرنـــا اللـــى مشينـــاه
معنـــا خويـــا ما تغيـــر علينـــا
صدفـــة تواجهنـــا ببيتـــه وضفنـــاه
واكـــرم الحانـــا ثم سرنـــا وسرينـــا
ومـــاتت رحولـــه يوم ربـــه تبلـــواه
وقالـــوا له ارجـــع بالعجـــل لا تجينـــا
ويبونـــه لحـــدب الضواري تعشاه
وثنـــيت دونـــه بالشطيـــر السنينـــا
ورفضت رجوعـــه والزهـــايب مطـــواء
وخوينـــا ما هو رخـــيص علينـــا
ويـــحشم ولا نرضى الرفيـــق أيتحـــداه

وقبل أن يكمل القصيدة قال له شيخ القبيلة إذا عليك أن تذهب وتحضر ذلك الرجل فإن كان كلامك صحيح فأنت برىء وإن حدث العكس سيكون العقاب شديداً.

وذهب الرجل إلى رفيقه واحضره وقابل الشيخ واخبره بالقصة كاملة. وقال الشيخ لقد أحسنت يا فلان وأما أنتم فجزاؤكم افلاسكم.

وهكذا يجسد البدوي قصة من قصص الشهامة وحماية «الخوى».



النسب عند العرب

بنتك شفاتي من جميع الغنادير
يمكن يجي مثلك شجاع قطامي

يفتخر ابن البادية بنسبه فالأخيار من أبناء البادية لا يتزوجون إلا من بيت كريم.. أبنه رجل أما أن يكون شجاعاً أو يكون كريماً حتى أن الطفل البدوي عندما يسأله أحد من خاله يقول أنا خوالي «آل فلان» وما نورده لكم هنا يدلل على حرص ابن البادية على اختيار زوجته.

كانوا لا يهتمون بجمال المرأة ولا بثروة والدها ولكن كانوا يهتمون بل يحرصون على أن تكون هذه المرأة أبنة فلان الفلاني.

كان أحد أبناء البادية فارساً مغواراً.. كان شجاعاً ينتصر في غزواته يأتي بالإبل ورغم هذا كله كان كريماً يحب الكرم حتى أنه أصبح مضرب مثل بين القبائل في ذلك.. الوقت ولكنه لم يكن يعلم ماذا يخبيء له القدر لقد حدث ذات يوم أنه غزا مع رفاقه وشاهدوا في الصحراء إبلاً فأغاروا عليها وأخذوها وبعد قليل لحق بهم رجل يمتطي صهوة جواده ومعه سيفه ورمحه فطلب منهم أن يتركوا الإبل وهذه عادة متبعة عند الفرسان ويذهبوا لحال سبيلهم ولكنهم رفضوا وطلبوا منه أخذها بالقتال إذا كان يريد ذلك أو الرجوع إلى أهله سالماً ولكن الإبل ستبقى في قبضة الغزو فطلب منهم ثلاث مرات أن يتركوا الإبل ولكن دون جدوى فقال :

أين الفارس الذي يريد مبارزتي فقال له الرجل الشجاع والكريم أنا أبارزك فهجم صاحب الإبل على الفارس ومد يده عليه وهو فوق فرسه وشاله من فوق الفرس بيد واحدة ولكد الفرس واتجه به إلى بيته فربطه أسيراً وقومه ينظرون إليه، دون أن يبادروا إلى تخليصه فرجع عليهم وطلب منهم ترك الإبل أو أن يخرج له فارس آخر ولكن القوم عندما شاهدوا فعل هذا الفارس بفارسهم وقائدهم تركوا

الإبل وقالوا نريد منك أن تطلق سراح عقيدنا فقال ولكم ما طلبتم أما الفارس الأسير فقد شاهد في بيت الرجل الذي خطفه فتاة ذات جمال ففكر أن يخطبها لتصبح زوجة له، وقال لنفسه إذا كانت من نصيبي إن شاء الله فسيرزقني الله بولد منها ليكون مثل هذا الفارس عاد صاحب الإبل إلى بيته وقال للأسير اذهب لقومك لقد تركوا الإبل ووعدتهم أن أخلي سبيلك فسأله عن اسمه فأخبره وبعد مضي فترة بسيطة ركب هذا الرجل ذلوله واتجه إلى الفارس صاحب الإبل وحل ضيفاً عليه فقال له حياك الله يا ضيف الرحمن هل من طلب قال نعم «أريد منك أن تزوجني إبنتك لعل الله يرزقني بولد شجاع مثلك فرفض والد الفتاة هذا الطلب ولكن الضيف أصر وفي الصباح استيقظ صاحب البيت وإذا بالرجل يكلمه مرة أخرى فقال هذه القصيدة يطلب فيها من والد الفتاة أن يزوجه إياها..

الضيف له حشمه وواجب وتقدير
وأنت تعرف قدر الضيوف الحشامي
أنا طلبتك يا زبون المناعير
فربك ونسبك وأنت غاية مرامي
أنا نصيتك ما تنصيت للغير
في مطلب ما هو علينا حرامي
بنتك شفاتي من جميع الغنادير
يمكن يجي مثلك شجاع قُطامي
اغدى يجي مثلك، عيال مساطير
معربين من خوال وعمامي
يا ريف من يلفون بيتك مسايير
قل جتك وابشر بالطلب من شمامي

بعد ذلك قال صاحب البيت أبشر بطلبك وتم الزواج وهكذا يحرص أبناء البادية على مصاهرة الأخيار.

الجار لا تؤخذ إبله

والله ما نرضى على الجار عيلة .. !

● هذا هو لسان حال أبناء البادية يضعون منزلة الجار في مكان رفيع لا يستطيع أحد أن يتعدى عليه.

إن لهم في الرسول الكريم أسوة حسنة إذا أوصى ﷺ بالجار خير وصية. ولهذا فإن العرب الكرماء لا يفرطون بهذه الوصية. بل يحافظون عليها بكل تفان واخلاص حتى لو كلفهم ذلك الروح.

وعلوم التشامي تروي لنا نادرة من نوادر أهل الشهامة سكان الصحراء التي علمتهم حسن التعامل.. وصقلتهم النخوة والعزة والمروءة.

حدثت هذه القصة لرجل معروف ومن قبيلة معروفة. وكان قد شد رحاله وهجر قبيلته لأنه حصل بينه وبين أحد جماعته مشاجرة وكان هذا الرجل وحيداً وليس له أقارب. فاضطر أن يترك قبيلته حيث ليس فيها من ينصره منهم فكلما لقيه واحد قال له أنت مخطيء ولم يكن مخطئاً ولكن نظراً لأن الرجل الذي تشاجر معه له اخوة وابناء عم وهم أكثر فلا أحد يجرؤ على قول الحقيقة خوفاً من سطوتهم. أو مجاملة لهم أو كما قال المثل الشعبي. «أما مدراه وإلا مرجاه» ولذلك قرر الرحيل بعد أن أعطى الأمان لمدة ثلاثة أيام حيث استجار بأحد وجوه العشيرة.

غادر قبيلته مع زوجته وراعى إبله وأطفاله الثلاثة الذين يبلغ أكبرهم العاشرة من العمر وأصغرهم أربع سنوات.. ترك قبيلته ولسان حاله يقول :

يا تيـــــل يا بو عمـــــد

مكسور فنجـــــــــالك

مأخـــــــوذ حقك بطـــــــل
من قلــــــــة رجــــــالك

وأثناء سيره شاهد بيوتاً من الشعر. فقال لراعي الإبل توجه إلى هذه البيوت لأن فلاناً وأخوته وأبناء عمه سيلحقون بنا بعد مضي الثلاثة أيام حيث تقضي العادة عند بعض أبناء البادية أن الدخيل يعطى ثلاثة أيام ويسمونها (المهربات) أي بإمكان الرجل صاحب القضية أن يصبح في أمان بعد هذه الأيام الثلاثة وفعلاً اتجهوا إلى منازل القوم وكانوا من نفس القبيلة ولكن من عشيرة غير عشيرته: (كلنا يعلم أن القبيلة تتكون من عشائر والعشائر تتفرع إلى أفخاذ كبيرة.. ثم صغير ثم عائلات) وهكذا..

فنزل عندهم ولم يجد في هذه البيوت إلا ثلاثة رجال أما الباقون فكانوا في غزواً على إحدى القبائل المعادية لهم على عادتهم في تلك الأيام فاخبرهم بما حدث له: قالوا له نحن لا نستطيع أن نحميك لمدة طويلة ولكن عليك أن تقيم الليلة وسنقوم بحراستك وفي الصباح لا بد أن ترحل حتى لا يحدث بيننا وبين جماعتنا مشاكل نحن في غنى عنها نحن نؤمن لك الوصول إلى قبيلة أخرى.. وكان من عادة أبناء البادية أن يجلوا إلى قبيلة لا تمت بصلة إلى قبيلتهم.. فوافق هذا الرجل على هذا الاقتراح وبقي ليلة واحدة تحت حراسة مشددة من الرجال الثلاثة وفي الصباح عزم على الرحيل.. ورمى البيت تمهيداً لحمله على ظهور الإبل.

وكان لشيخ هذه العشيرة التي نزل عندها فتى يبلغ الرابعة عشرة من عمره شاهد في الصباح الرجل وهو يطوي بيته مع راعيه وزوجته وأطفاله فاتجه إليه مسرعاً، ظاناً أنه أحد أفراد عشيرته لم يعرفه: قال من أنت: فأخبره فأقسم أن يرفع بيته وعندما جاء إليه مرة أخرى قال لن تذهب من هنا حتى يأتي والدي فتقدم إليه الرجال الثلاثة واخبروه بما حدث لهذا الرجل وابلغوه إنه لا يحق لهم أن

يحموه من خصومه. فلم يسمع لقولهم وأصر على أن يعاد بناء بيته وقال للرجل تفضل إلى المضيف لشرب القهوة، وطمأنه وقال له لا عليك. سنحميك مهما كانت الظروف وفعلاً أعيد بناء البيت وذهب الرجل مع الشاب وتناول القهوة أما الإبل فقد سمح لها الشاب أن تذهب للمرعى وذهب الراعي بالإبل وبعد الظهر جاء الراعي مسرعاً وقال لقد جاء فلان وفلان ومعهم مجموعة وأخذوا الإبل أي أن أخوة الرجل الذين تشاجر معه هذا الرجل جاءوا وعرفوا الإبل وأخذوها.. فقام الشاب وركب فرساً وعندما لحق بهم قال مخاطباً لهم أن هذه الإبل لجارنا وليس من حقكم أخذها وأنا فلان ابن الشيخ فلان. فقالوا ابتعد عنا وإلا قطعنا رأسك. ثم كرر المحاولة مرة ومرات فلم يصغوا إليه.

عندها ثارت حميته واستل سيفاً وضرب به كبيرهم فإذا به يهوي على الأرض جريحا. وفر البقية تاركين إبل ضيفه، وكبيرهم يتخبط في دمائه.. لكن من حسن حظه أنه لم يمت.

عاد الشاب ومعه الإبل ومعه الرجل المصاب. عندها قام الرجل صاحب الإبل وأخذ المصاب وبدأ يعالجه حتى شفي تماماً وكان جماعته يظنون أنه قد قتل.

وعندما علم الرجل المصاب أن الذي عالجه هو خصمه قرر أن يذهب لأخوته وجماعته ويخبرهم بما جرى له ليسمحوا له بالعودة جزاء عمله وشهامته وتعود الألفة والصداقة من جديد.

أما الشاب فحين عاد والده من الغزو أخبره بما حدث له مع جاره فقال سلمت يداك. لقد بيضت وجهي وإلا لأصبح هذا الأمر وصمة عار للقبيلة لو تركت الجار يرحل.. للحقنا عار التخلي عن الجار ولو تركت الإبل تؤخذ وهي بحمايتنا للحق بنا عار الجبن، وخذلان المستجير وارتجل قصيدة طويلة منها قوله:

والله ما نرضى على الجار عليه
حنا حماة الجار من قدم الأزمان
نموت ما نرضى علينا الفشيلة
وعندي على قولي دليل وبرهان
حنا اليابار العميل بعملية
نصير للخايف عن الظيم مزبان
والجار يبشر بالفرج ونعنيله
متعليا عده على راس ما بان

ثم قال مخاطباً ولده وهو يفتخر بما قام به هذا الشاب من عمل :

تعيش يا مرضي عنان الكحيلة
ياللي وفيت الحق من غير نقصان

ثم قال مخاطباً جاره ومن حوله ومتوعداً أبنه لو حصل منه قصور :

والله لو أنه بايرا في دخيلة
والله غير اقطع وريده بشامان

يقول لو أنه لم يعمل هذا العمل لقطع رأسه بالسيف ثم قال مخاطباً جاره :

يا جار لو تزعل علينا القبيلة
دخيلنا عن لمسة الخشم ينصان

ثم قال يمتدح إبنه ويعد للجار أنه بفضل الله ثم بفضل هذا الشاب عادت الإبل ولا طاوع من أرادوا للجار الرحيل.

وقبل أن يكمل قصيدته وإذا بثلاثة رجال.. يدخلون عليه وسلموا فرد عليهم ومن معه السلام.. قالوا يا فلان طلبناك قال ابشروا قالوا حنا عيال عم هذا الرجل وقد علمنا بما حدث له وبما فعله مع فلان إذ عالجه مدة طويلة حتى شفي رغم أنه جاء ليقتله أو ليأخذ إبله وقد أرسلنا من قبل أصحاب القضية فهم متنازلون وليس لهم عليه أي حق ونطلب منك أن يذهب معنا هو أوهله وإبله.

فقال الشيخ: هذا أمر يعود إليه: إذا أراد الذهاب معكم أو البقاء عندنا قال الرجل الدخيل: لقد عملتم يا طويل العمر كل ما هو واجب عليكم فبارك الله لك بهذا الشاب الشهم.

وفعلاً عاد الرجل إلى عشيرته بعد كل ما حدث له وهكذا يسطر هذا الشاب ابن الشيخ قصة من قصص الوفاء للجار..!



البخل عيب مرفوض عند العرب

البخل عيب ومن كبار العذاريب

حسن الخلق والكرم ومساعدة المحتاج من صفات كل عربي..

والمواقف البدوية في هذا المجال تعجز عن تدوينها الكتب.. وقد جبل أبناء البادية وتربوا على هذه الصفات النبيلة وقد حافظوا على هذه الخصال وغيرها من الخصال الحميدة. فمساعدة المحتاج مثلاً من الأهداف التي يبحث عن تحقيقها كل إنسان في هذه الصحراء ليرتفع بها ذكره وشأنه بين العرب فلا حسد ولا ضغينة.

ومن المعروف أنه في كل مجتمع من المجتمعات وفي كل عصر من العصور يوجد من يمتلك مالاً رزقه به الله ويوجد في المقابل من هو مستور الحال لا يحتاج لأحد ولا يستطيع مد أحد بما يملك ويوجد أيضاً المحتاجون الذين يملكون شيئاً فالرزق مقدر من رب العباد وهو الرازق يرزق من يشاء سبحانه وتعالى. ورغم هذا فإن هذا المحتاج الذي يعيش في مجتمع إسلامي تأصلت به النخوة العربية وتعمق الإيمان فيه فإنه يعيش في اطمئنان. لأنه واثق من إنه سيجد من يساعده فأهل الخير كل وقت موجودون ولذلك فإن أبناء البادية كانوا سباقون لمثل ذلك فلا محتاج بينهم، فالمساعدة موجودة والعطف موجود، والكرم موجود.

فهناك طريقة لديهم وهي أن الشخص الذي لا يملك إبلاً يعطى ما يسمونه «منيحة» من الإبل أو الغنم يحلب منها ويتنقل على ظهورها من مكان إلى أخر.

كذلك في وقت الربيع وعندما يوجد الطيب في الأغنام فإن كل مقتدر يعطى لهذا المحتاج ما توجد به نفسه.

وهكذا فإن الذي لا يملك شيئاً يصبح كغيره يملك الإبل والأغنام.. أما إن تكون هبة أو «منيحة» و«المنيحة» تعطى للمحتاج وعندما يتوقف عنها الحليب تتم اعادتها إلى صاحبها المالك.

حكايتنا التالية، واحدة من «علوم النشامى» النادرة التي تعبر عن الاثرة والجود، ومساعدة المحتاج.

● أحد أبناء البادية ضاق به العيش وهو يشاهد من حوله يملكون الإبل. والأغنام، ويشربون من حليبها في حلهم ويمتطون ظهورها في ترحالهم. أما هو فإن الله سبحانه وتعالى لم يعطه مثلما أعطاهم. ولكنه رجلاً شهماً. كان إذا جاء إلى بيته ضيف يكرمه بما يستطيع إكرامه وإذا كان هذا الضيف يستحق «الذبيحة» فإنه يشتري له ذبيحة حتى ولو استدان قيمته وكانت سمعته حسنة حتى أن بعض أصحاب الأموال يحسدونه على هذه السمعة رغم قلة ماله ورغم إنه لا يملك من الدينا شيئاً وقد تناقل أخباره أبناء البادية سواء من عشرته أو من العشائر الأخرى. فاصبح يضرب يكرمه المثل وكان جماعته يعرفون أحواله ويعرفون أنه لا يملك شيئاً. أما القبائل الأخرى فكانوا صادف ذات مرة أن حل عليه ضيوف فاستقبلهم ورحب بهم وعندما لاحظوا عليه الاجهاد والارتباك سألوه عن مابه فاستأذن منهم ليذهب إلى الجوار ثم يعود فسمحوا له ظانين أنه سيذهب إلى غنمه. فنهض الرجل واتجه إلى أحد جماعته وكان يملك غنماً كثيراً فطلب منه ذبيحة لضيوفه فبادره بطلب قيمتها، فاعتذر بإنه لا يملك الآن شيئاً. وإنه مضطر لأن عنده ضيوفاً. قال صاحب الغنم: لا داعى لأن تذبح للضيوف وبلغهم بأنك رجل «فقير» قال الرجل الكريم معاذ الله أن أبين لضيوفي عجزي عن إكرامهم فأنت لا ترضى بذلك قال اذهب من حيث أتيت ولا تنس قيمة الذبائح السابقة.

وكان لصاحب الغنم ابن شهم فسمح كلام والده وكلام الرجل الكريم.

فسكت الولد، وهو ينتظر الفرصة لكي يذهب والده إلى البيت مصمماً على أن يأخذ ثلاث ذبائح ويذهب بها إلى بيت الرجل ليكرم ضيوفه.

وفعلاً تحقق ما أراد أما الرجل فقد عاد إلى بيته ودخل على ضيوفه. وقال لهم حياكم الله يا ضيوف الرحمن.. وقدم لهم القهوة وبينما كان جالساً عندهم وإذا بالشاب ينادي عليه: يا فلان يا فلان.. قال نعم قال لو سمحت أريدك.. فنهض وجاء إلى الشاب.. قال الشاب لقد أتيت لك بثلاث ذبائح من الغنم قال هل سمح والدك بذلك قال.. لا ولكن لا عليك أسرع وأذبح من الغنم قال هل سمح والدك بذلك قال.. لا ولكن ولا عليك أسرع وأذبح الذبائح واكرم ضيوفك ولو سأل والدي عن ذلك سأبلغه أنني تقاضيت منك ثمناً لهذه الذبائح.

فوافق الرجل ونحر الذبائح وأكرم ضيوفه وكان من بين المدعوين على العشاء صاحب الغنم الذي رفض أن يعطيه أي شيء منها وبعد أن استراح الضيوف ليلة كاملة ذهبوا في الصباح إلى حيث مقصدهم.. أما صاحب الغنم فقد سأل ابنه عن الثلاثة «الخرفان» المفقودة فأخبره أنه باعها على الرجل بعد أن سلمه قيمتها.. فقال الوالد إذا هات المبلغ قال الأبن لقد فقد مني وسأبحث عنه وعندما أجده سأعطيك أياه.. قال الوالد إنها حيلة من الحيل لماذا تتصرف بما ليس لك.. وضربه على وجهه وأمره أن يبتعد عنه فقال الولد يا أبي إن فلاناً رجل كريم ولا بد أن يرزقه الله وعندها سيدفع لك حقك. قال الوالد أنت ولد عاق لأن عملك مخالف لرأي ورغبتي.. فذهب الولد وجاء إلى كبير القوم وأخبره بما حدث مفصلاً فقال لا عليك قال الشاب للشيخ أن والدي طردني ولكن عندما يدفع له المبلغ من الممكن أن يعفو عني

فسكت الشيخ ولم يرد له جواباً وانتظر الشاب عنده ثلاث أيام دون أن يحادثه الشيخ باي شيء.. فتقدم الشاب إلى الشيخ وقال يا طويل العمر أريد أن تسمع مني أبياتاً من الشعر فقال له تفضل فقال :

يا شيــــخ يا حلال عسر النـــــواشيب
اسمـــع كلام فيــــه هاضت قريحـــة
كلام صدق ولا بقولـــــــــي زواريب
فيــــه العلـــوم الواضحـــة والصريحـــة
يا شيــخ يا نطـــاح كل المواجـــيب
انخــاك يا ملفـــى الوجيــــه الفليحـــة
بعـــدي عن الوالـــد يسبب لي العـــيب
اطـــلب رضاه ومـــنك نبـــي النصيحـــة
ويـا شيــخ كان يحاسب الطيب بالطيب
عز الله أنـــي ما فعـــلت القبيحـــة
فزعت للمنيــــوب في خيـــر توجـــيب
ومبطـــي ترى المحتـــاج يعطـــي مينحـــة
والبخـــل عيب ومـــن كبـــار العـــذاريب
مزاد مال أهـــل اليديـــن الشحيحـــة

ثم قال الشاب للشيخ أن فلاناً ويعني الرجل الكريم يستحق أن نساعده جميعاً ولا يجب أن نتركه هكذا وأكمل القصيدة..

وعندما سمع الشيخ القصيدة قال لأحد رجاله.. اذهب يافلان واحضر بالحال الرجل الكريم وأنت يا فلان اذهب وادع القبيلة للأجتماع لأمر مهم.

واجتمعت القبيلة وقال لهم الشيخ أن فلاناً الرجل الكريم لا يملك شيئاً وأنتم تعرفون قيمته وقد تقرر أن يعطيه كل واحد منكم ناقة من الإبل وعشرةرؤوس رأساً من الغنم فوافقوا جميعاً وتم ذلك. فما كان من صاحب الغنم. إلا أن سامحه على ماله عليه من دين وساهم مع رفاقه أيضاً..

لأجل أمه يطلق زوجاته

البر بالوالدين أسلوب حياة

● البر بالوالدين متأصل في أبناء البادية ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتخلى البدوي عن أبويه بل وكافة أسرته وحتى عشريته.

فصلة الرحم متأصلة في أبناء العرب الذين يتخذون من الإسلام منهجاً ومن القرآن دستوراً..

متمثلين بقوله تعالى: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه﴾ الآية..

وهذه القصة من علوم النشامى يحكيها لنا أحد أبناء البادية فيما يلي :

كان شاباً يافعاً وكان وحيد أبويه وليس له أخوة ولا أخوات.. تربى على الشهامة على الرغم من أنه كان مدللاً بجد كل ما يطلبه من أمه ومن أبيه.

وعندما بلغ سن الرجولة قرر والده أن يزوجه فتزوج فتاة جميلة من أسرة معروفة ولكن مع الأيام حدث بين زوجته ووالدته بعض المشاكل.. كما هي الحال دائماً بين زوجة الأبن وأمه.. وكان الشاب يحب زوجته حباً شديداً ولكن هذا الحب لم يدم طويلاً.. فعندما علم أن والدته وزوجته على خلاف.. قرر أن يطلقها مضحياً بحبه وتم الطلاق وذهب كل واحد إلى جهة أخرى.

وبعد فترة تزوج فتاة أخرى.. وفي ليلة من ليالي الشتاء الماطرة خرجت والدته لتجسد المياه عن البيت بإقامة مصدات ترابية وكان الولد يساعدها فسأل أمه عن زوجته وقال إني لا أراها لماذا لا تساعدك.

قالت الوالدة.. يا بني أنها فتاة صغيرة لا تستطيع الخروج في هذا الجو البارد.. لا عليك أنا أقوم بالمهمة.

وكانت بذلك تحاول أن لا تثير غضب ابنها ولكن الشاب المخلص لوالدته.. دخل البيت.. فوجد زوجته نائمة فأيقظها بغضب قائلاً..

هل ترضين أن والدتي تعمل وتدور حول البيت وأنت نائمة..

قالت الزوجة.. أنا أحس بالبرد ولا أستطيع أن أخرج.

فقال بل ستذهبين بعيداً فطلقها واصر على أن تذهب إلى أهلها في الليلة نفسها وكان أهلها على مقربة من بيت زوجها فذهبت وأخبرت أهلها أنها مطلقة وأخبرتهم بسبب الطلاق وبعد مضي فترة أخرى تقدم والده ليخطب له وللمرة الثالثة ولكنه كان يواجه رفضاً مستمراً بسبب طلاقه السريع وكما قال المثل «الناس لا تهمل بعضها «فكل واحد كان يخشى أن يكون مصير ابنته مثل مصير زوجتيه الأولى والثانية.

ولكنه بعد فترة وفق في أن يتزوج للمرة الثالثة ولكن بشرط حيث أن والد الفتاة شرط عليه.. أن لا يقدم على طلاق ابنته لأسباب لا تؤدي إلى الطلاق عادة.. وهكذا بدأ حياة جديدة مع زوجته الثالثة.. وفي أحد الأيام جاء إلى أهله ضيوف فأمر زوجته بعمل العشاء لهم.. فقالت والله لا يوجد لدينا «حطب» والوقت متأخر وكما تعلم أنني لا أستطيع الخروج.. بهذا الليل المظلم فأتهم بحليب وتمر وهذا يكفي ضيوفك حتى الصباح.. وكانت الوالدة تستمع إلى هذه المحادثة فقامت وأخذت الفأس والحبل لتجلب الحطب وقد حاولت أن لا يشاهدها الأبن.. حيث بقيت في فراشها حتى ذهب من عند زوجته إلى المكان الذي يجلس فيه الضيوف.. وأثناء احتطابها لدغها عقرب فتجلدت وصبرت حتى أنهت مهمتها ولكنها لم تستطع أن تتجلد أكثر وقد بدأ السم يسرى في عروقها فتركت الحطب في مكانه وأسرعت إلى البيت تصرخ فأحست بالألم فعلم الولد أن العقرب لدغها أثناء محاولتها لجلب الحطب..

فانزعج الولد من ما حدث.. أما الزوجة فبقيت بفراشها.. فجاءها الزوج فأخبرها أن والدته حدث لها ما حدث وأمرها أن تذهب إلى المكان وتأتي

بالحطب الذي جمعته الأم فقالت والله أخشى أن يلدغني عقرب أنا لن أذهب.. وحاول ولكن محاولاته باءت بالفشل وكانت زوجته من أفضل فتيات قومه خلقاً وجمالاً ولم يحد بينها وبين أمه أي خلاف وكان أبوها رجلاً شهماً ومن وجهاء العشيرة.

وبعد أن رفضت أمره قرر في نفسه أمراً وعندما جاء الصباح.. أمرها أن تذهب إلى أهلها ولكن هذه المرة بدون طلاق.

فذهبت الزوجة وجاءت إلى والدها واخبرته بكل ما حدث فقال.. هل طلقك.. قالت لا وبعد مضي وقت من الزمن قررت الوالدة أن تذهب إلى والد الزوجة لتطلب منه إرجاعها لكنه رفض واصر على حضور زوجها شخصياً لكي يتم التفاهم معه وزوجته. فعادت الوالدة إلى ولدها واخبرته بهذا الطلب.. فرفض وطلب من والده أن يذهب إليهم وعندما ذهب والده كان جواب والد الفتاة نفس الجواب الذي قاله لأمه فعاد والد الشاب وقال له يا ولدي عليك أن تذهب وتحضر زوجتك لقد طلب والدها ذلك.. قال ياوالدي.. أن هذا الرجل رغم شهامته إلا أنه لم يقدرك ولم يقدر والدتي بل إنني سأطلق ابنته فتدخلت الوالدة وقالت لو طلقتها فلم تجد من يزوجك وتدخل الوالد.. قائلاً هذه ابنة رجل طيب اذهب ودعه يتفاهم معك وأبلغه أننا راضون بكل شروطه قال الولد. إذاً سألبي طلبكما.. والله لو أمرتموني بطلاقها لفعلت ولكن سأحقق رغبتكما وذهب إلى والد زوجته وهناك دار بينهما حوار طويل قال والد الزوجة ياولدي أنا زوجتك ابنتي من أجل أن تصون كرامتها لا من أجل أن تكلفها بشيء لا تستطيعه قال الشاب.

اسمع هذه الأبيات فعندها سيتحدد موقفك وقاطعه والد الزوجة هل نسبت ابنة فلان وابنة فلان طلقت الأولى ثم طلقت الثانية من أجل والدتك فعليك أن تترك والدتك وشأنها وتحافظ على زوجتك وتكون مثل غيرك: قال عذراً ياعمي أنا أريد أن أقول شعراً قال تفضل فكانت هذه الأبيات.

يا عم درب أهـل الـردى ما مشينـاه
لا والـذي فوق المخاليـق عالـي
رب العبـاد اللـي عبيـده ترجـاه
اللـي لغيـره ما يجـوز السؤالـي
والبـر بالوالـد لك الله حفظنـاه
حق يعرفونـه جميـع الرجالـي
أمـي لهـا حق علـى ولا أنساه
ياما اسهـرت في مظلمـات الليالـي
والوالـد اللي عزني كيـف أبـا أجـزاه
افديـه بروحـي وحالـي ومالـي
ياعـم رزق العبـد بيديـن مولاه
والعمـر يقفـاه الفنـا والزوالـي

وبعد أن سمع والد الزوجة هذه الأبيات المعبرة قال لأبنته عليك أن تتجهزي لتذهبي مع زوجك.

قال الزوج: والله لولا اصرار والدي ووالدتي على مقابلتك لما قدمت ولما أتيت من أجل ابنتك بل جئت تحقيقاً لرغبة والدي ووالدتي ولو علمت أن هدفهما غير ما أمراني به لرفضت زوجتي كسابقاتها: فقال والد الزوجة لا عليك انت شهم فعلاً.. نعم أن للوالدين حقوقاً أكبر من أي شيء فذهبت الزوجة مع زوجها إلى بيته وتم الوئمام والتفاهم.. لقد وجد الزوجة الصالحة التي ترضي والده ووالدته.



هذا ولد جاري ولاني مجازيه

الشهامة والكرم والنخوة :

وابن البادية الأصيل استطاع وبحق، أن يعطى مثلاً لغيره، فتعامل أبناء البادية مع بعضهم البعض مأخوذ من هدى الشريعة مقتدين برسول الله ﷺ فالجار له شأن عظيم له الاحترام وله التقدير ومهما عمل الجار ومهما فعل من سيئات مقصودة أو غير مقصودة فإن التجاوز عن أخطائه من شيم العرب.

هذه نادرة أخرى من حكايات النشامى

البدو يقطنون ـــ عادة ـــ قرب مياه الأبار يعيشون في سكينة وامن قلوبهم صافية ونواياهم حسنة. يكرمون الجار إذا جار به الطريق وأقام عندهم ولو قليلاً يكرمون الضيف ويقدمون له الولائم. بيوتهم إذا جاء الضيف تحولت إلى خيام بيضاء من القطن. وفي الشتاء تتحول إلى سوداء من شعر الماعز قبل مغيب الشمس وإذ بطارق يحمل بيته على جمل أناخه وبنى البيت وإذ به جار جديد ومن عشيرة أخرى.. نهض الرجال ورحبوا به وتناول معهم القهوة وفي الليل كان العشاء. وكانت الولائم كان الجميع يرددون «أهلاً بالجار».. لا يعرفون من هو هذا الجار ولكنهم عرفوا أنه رجل مهم بواسطة بيته حيث كان البيت كبيراً والدلال مصفوفة فيه وكأني بالشاعر عندما وصف «الدلال» يقول :

دلال صفر مرادفهن.. كلش من البن مليانه.

هذا البيت من الشعر بكسر الشين قيل على أحد الكرماء اسمه معروف ونسبه معروف أيضاً وفي اليوم التالي دعا هذا الضيف جيرانه لتناول القهوة والغذاء

وهذه عادة قديمة ولازالت موجودة حتى الآن. وبعد أن انفض السامر عاد كل رجل إلى بيته.

وبقى المضيف وضيفه الجار. قال المضيف: أرى ولدك منزوياً لماذا لا يتعرف على أبناء العشيرة ليلعب معهم قال الجار أنه والله رأى صائب. فمر ابنه الذي لا يتجاوز العاشرة من العمر. أن يذهب منذ الصباح إلى أبناء العشيرة وأمره أن يكون مؤدباً وأن يحترمهم حتى يحترموه.

وحين عاد الرجل إلى بيته وطلب من أبنائه أن يكون ابن جارهم تحت حمايتهم وأن يلعبوا معه فقرر الأبناء المحافظة على هذه الوصية. واختلط الولد الجار مع أبناء العشيرة يقضون وقتهم في اللهو البرىء يلعبون نهاراً وفي الليالي المقمرة تحت ضوء القمر. ومرت الأيام وكبر الولد وقرر والده أن يسلحه بخنجر يحمله بين أقرانه إذ أصبح شاباً يافعاً عنده القدرة على القيام بواجبات الرجل البالغ. ولكنه لا يزال يلعب مع اقرانه لكنه سرعان ما أصبح حديث الجميع لخلقه ورزانة عقله وتعامله الطيب كما أصبح محبوباً عند الكبير قيل الصغير الأمر الذي جعل له حساداً داخل العشيرة يقفون منه موقفاً معادياً دون علمه فهو يعتقد أن الكل يحبه. لأنه يعاملهم معاملة كريمة ولأن والده رجل كريم وأصبحت له مكانة كبيرة عند جيرانه حتى أنهم عندما يسألون عن جارهم يقولن جميعاً إنه منا وفينا ومن عشيرتنا.

كان الشاب أمناً ولم يخطر بباله أن بعض الشباب يكن له الحقد لماذا لأنهم احسوا بالنقص حتى أهلهم عندما يخاطبونهم يقولون لهم لماذا لا تكونوا مثل فلان ابن جارنا فلان.. حتى أن بعضهم فكر في حيلة يتخلصوا بها من هذا الشاب الذي أصبح عالة عليهم كما يعتقدون وأن وجوده بينهم ينقص من قيمتهم عند أهلهم. وذات يوم اتفقوا أن يذهبوا بعيداً عن منازل أهلهم. وأرسلوا واحداً منهم ليدعو الشاب إلى حيث هم.. وجاءه أحدهم وأخبره أنهم يلعبون في مكان كذا ويطلبون حضوره. ففرح الشاب وعلى الفور اتجه برفقته وعندما جاء

سلم عليهم ولكنهم لم يردوا عليه السلام فتأثر وتغيرت ملامح وجه وقال يخاطبهم. ما الأمر يا أحبائي هل وجودي بينكم غير مرغوب فيه قالوا جميعاً نعم واكبر من هذا سنقتلك هنا وندفنك.. فقال لهم مازحاً. اتركوا عنكم هذا الكلام وهيا ننطلق لنتسابق أو لنلعب أي لعبة. فتقدم زعيمهم وضربه على وجهه ثم نهض الباقون واحاطوا به من كل جانب.

وحاولوا أن يطارحوه أرضاً ولكن عناية الله حالت دون ذلك واستل خنجره وطعن الشاب الذي ضربه فأرداه قتيلاً وعندما شاهد بقية الشباب صاحبهم قد قتل ولوا هاربين لأنهم لم يستطيعوا الاقتراب منه فزعيمهم الذي يرأسهم أصيب بالخنجر ودماؤه تنزف وجاء الشاب إلى بيت والده وهو في حالة ذعر فسأله والده عن ما به قال: لقد عملت كذا وكذا واخبر والده بالحادث بالتفصيل. أما الشباب الهاربون فقد جاءوا إلى القوم. وأخبروهم أن ابن جارهم قتل صاحبهم. فركب بعضهم واتجهوا إلى الموقع ووجدوا الشاب قد فارق الحياة فحملوه إلى المنازل وفي المساء . حضر والد الشاب المقتول وطلب الشباب الذين كانوا موجودين في المكان وسألهم وكانت اجاباتهم مختلفة فعرف هذا الرجل أن الأمر خطير وأن ما حدث من الشاب كان دفاعاً عن النفس وليس اعتداء على أحد.

ثم جاء بعض أقاربه وقالوا له سنذهب إلى الرجل ويعنون جارهم ونقتله هو وولده. فقال لهم والله أن تجرأ أحد منكم على ذلك سيكون سيفي هو الفصل بيني وبينه.

وأثناء جلوسهم وإذ بالرجل الجار جاء يقتاد ولده إلى بيت والد المقتول قائلاً له. يا فلان هذا قاتل ولدك فعليك قتله وخذ بثأر ولدك. فقام الرجل وأخذ سيفه وقص من رأسه بعض الشعر وقال اجلس يا جارنا واجلس أنت يا ابن جارنا عليك الأمان يا جار الرحمن. والله أن لدى قناعة تامة أن ولدك لم يقتل ابني اعتداء بل دفاعاً عن النفس وهذا أمر قدره الله سبحانه وتعالى.

لم يصدق الجار هذا الكلام وذلك لهول مصاب الرجل والد القتيل وبعد أن تم دفن المقتول. عاد الرجال وبعضهم يبكي على الشاب الفقيد ولكن ماذا يعملون. لقد سمح الوالد للقاتل ولم يسمح لأحد من أقاربه النيل من كرامة جاره.

أما الجار فجاء مرة أخرى إلى الرجل وقال أريدك أن تطلب من مالي دية لولدك.. فقال لا والله لقد سمحت عن كل شيء والله سيعوضني خيراً منه قال الجار إذاً أريد السماح لي بالرحيل قال الحضور اسمح له بالرحيل ودعه يبتعد عنا. قال والد المقتول لا.. وجاءت هذه الأبيات :

تقلعوا يا أهل الوجيه المكاريه
يا أهل الردى يا عاشقين الفشيلة
ما دام يغليني قصيري وانا أغليه
احلف لكم بالله ما أرض رحيله
والله لو يطلب من المال لا اعطيه
جاري حشيم وغلطتي ما تجليه
يبقى عزيز بكل وقت وإداريه
واثني اليابار العميل بعميله
ولأني وراكم قولكم زاهد فيه
والله ما نرضى على الجار عيلة
وهذا ولد جاري ولأني مجازيه
إلا بعفو واتركه في سبيله
واللي خذه رب المقادير يعطيه
يعطي ولا عاشت يدين بخيله

وعندما سمعوا جماعته هذه الأبيات رضخوا للأمر الواقع وعرفوا أن هذا الرجل

قد اعتق هذا الشاب وكذلك لم يسمح برحيل جاره. وعندما قرروا ترك القضية لصاحبها ولم يتدخلوا في الأمر. وهكذا يعفو هذا البدوي عن قاتل ابنه ويرفض حتى الرحيل لجاره.. وإلى علوم أخرى. في سفر آخر بحول الله لكم في أجمل التحيات.

«مهدي»



الفهرس

